ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 38 - العدد 1095 - الجمعة 11 شوال 1425 هـ - الموافق 24 دجنبر 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

واجبات الحج ومندوباته وممنوعاته

أسباب الضلال العقدي كما بينها القرآن الكريم

المقدمة الثالثة لكتاب "الموافقات للشاطبي"

وللـه عـلى النـاس حـج البيـت

العـلـمـاء والمجـتـمـع

الدين المعاملة

من المبادئ المثالية التي راعاها الإسلام وأمر باحترامها، والتزمها المؤمن الصادق الإيمان عقيدة وسلوكا: الصدق في المعاملة، والوفاء بالالتزام، والصفاء في المخالطة مع أي كان، مما جعل الباحثين المنصفين الذين تحدثوا عن تاريخ الإسلام والمسلمين يذكرون بإعجاب كامل أخلاق سلفنا الصالح، ويثنون على سلوكهم، والسر في ذلك الثناء والذكر الجميل هو مدى تشبثه بما يدعو له الله ورسوله من التمسك بالعمل النقي الطاهر.

فشريعة الإسلام بنيت على خدمة صالح الإنسان فحيث ما تكون مصلحة البشرية الواقية لها من جميع المضار فثم شرع الله، ولذلك نرى الشريعة الإسلامية المؤسسة على الكتاب والسنة شريعة متكاملة ما تركت شيئا إلا نظمته تنظيما محكما وما استجد من محدثات الحياة إلا وفي الشريعة يكمن تقنينه العادل لرعاية شريعتنا الإسلامية لما يحقق المصلحة ويدرأ المفسدة، فربنا أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين هو الداعي إليها والآمر بالتزامها وتطبيقها على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم..

وهكذا فالشارع أولى المعاملات التجارية عناية فائقة، واهتم العلماء بما يجب على المتعاملين التحلي به من الصدق والأمانة وعدم الغش اهتماما كبيرا..

ورسموا لمن يتوجه للبيع والشراء ما يجب عليه القيام به في ممارسته لهذا الجانب الحيوي الذي يعد عصب الحياة، ولم تترك الشريعة لمن يتعاطى هذه المهنة الشريفة التي امتهنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين أن يعمل فيها ما أراد، أو يتعامل فيها مع الآخرين حسب هواه، بل حددت للناس أحكام التجارة وأحاطت أنواع معاملاتها الكثيرة الجوانب بسياج من القوانين واضحة المعالم، أمرت المتعاملين بأن يسيروا على هداها لئلا يتضرر أي كان، كما أمر الشارع أن تبنى تلك المعاملة على الصدق، ونهى عن أكل أموال الناس بالباطل، وحذر من الغش في الكيل وأمر بإيفائه فقال عز من قائل: (وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا) وقال تعالى: (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) وحذر الذين يرتكبون الغش في معاملاتهم من ويل يوم القيامة، قال تعالى: (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين)، وكم من أمم أهلكها الله لكونهم كانوا يبخسون الناس أشياءهم ويستعملون جميع الحيل غير المشروعة لابتزاز أموال الناس والاستيلاء عليها بدون أدنى مبرر شرعي، قال عليه الصلاة والسلام: (من أكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا).

فعلى الأمة الإسلامية وعلى كل من له ضمير أن يتنزه عن ما يخدش في عرضه ودينه وسمعته في جميع أنواع معاملاته حفاظا على قيمته بين الناس من أن يلطخها بما حرم الله عليه وبما لا يقبله أي مجتمع من عمل لا يرضي، قال عليه الصلاة والسلام: (من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار).

فعلينا أن يلمس منا الجميع أننا نطبق ما أمرنا به في شريعتنا فنتحلى بعدم الغش ونمضي في سبيل ما ثبت عندنا من توجيهاته صلى الله عليه وسلم لنا، فقد روي عنه أنه صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بللا فقال: (ما هذا؟) فقال الرجل: (أصابته السماء يا رسول الله) فقال عليه السلام: (فهل لا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا..)، فبالصدق تستجلب أيها المتعامل مع فصيلتك الإنسانية ثقة الكل، وتفرض احترامك بنزاهتك الكاملة، ووفائك المطلق، وقناعتك وزهدك عما بيد الناس.

إن تاريخ الأمة الإسلامية المجيد وما ترك لنا من تعليمات حكيمة وتوجيهات سديدة نستوحيها من آثار السلف الصالح يحتم علينا أن نقوم سلوكنا ونهذب نفوسنا ونعمل بما يدعونا إليه ديننا الحنيف لنسترجع الثقة فينا ونبني من جديد مجتمعنا على أساس التوجيهات الربانية حتى نرجع كما كنا المثل الأعلى في المعاملة وفي جميع مظاهر حياتنا جملة وتفصيلا، إن ما وصل إليه بعض من تقدم من الأمم في الميدان الاقتصادي يرجع سببه الرئيسي إلى ضبط المعاملة وعدم إضاعة الوقت بالإضافة إلى عوامل أخرى لا يهمنا الحديث عنها، إذ المقصود عندنا في تناول هذا الموضوع هو أن نمرن أنفسنا على الانضباط في تعاملنا ونشمر عن ساق الجد لنبني أمتنا بشتى الوسائل المشروعة، فنحن دولة حق وقانون والتزام بما قطعنا على أنفسنا من تفتح لا ينجرف بثوابتنا.

إن ظاهرة المنافسة الاقتصادية التي حتمتها العولمة علينا وعلى غيرنا، تلك العولمة التي خيمت بظلالها على العالم تفرض علينا أن نكرس الجهد حتى نواكب الركب يحدونا طموح متفائل ونحن مستنيرين بالهدي النبوي في كل المستجدات التي تباغت العالم من حين لآخر بما ليس في الحسبان، ونبقى جاعلين نصب أعيننا قوله عليه الصلاة والسلام (الدين المعاملة)

وفقنا الله لما يرضيه إنه سميع مجيب.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

التوجيهات الإسلامية في الحجة النبوية

-1-

سنحاول إن شاء الله في هذه الصفحات عرض بعض الخواطر والأحكام مأخوذة من القرآن والسنة وبالخصوص من حجة الوداع وماتم فيها من أقوال وماحصل فيها من أفعال إضافة إلى أحكام الفقه التي أقرها العلماء في ميدان الحج والعمرة وهو الركن الخامس من أركان الإسلام الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، بوحي من الله عز وجل، وبذلك أتم الله دينه وأنزل قوله تعالى "اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" (الآية 3 من سورة المائدة).

المسلمون اليوم في مشارق الأرض ومغاربها يقضون أيام الأشهر الحرم شوال وذي القعدة وذي الحجة وهي الأيام التي لايتم الحج إلا في بعضها بالتحديد أيام الثامن والتاسع ومابعدهما من شهر ذي الحجة، وفي مكان محدد بالضبط لايقبل التبديل أو التغيير من أي كان وهو مكة البيت الحرام، للطواف والسعي وعرفة ومنى للوقوف ورمي الجمرات.

فهذا هو الزمان وهذا هو المكان الذي شرع الله فيه هذا الركن من أركان الإسلام أن الدين الذي أخبرنا الله عز وجل في الآية السالفة الذكر بأنه أكمله، له منهج محدد مؤسس على أصول للإيمان وقواعد للإسلام وأحكام للإحسان ويذكرنا بهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان جالسا مع أصحابه فجاءه سيدنا جبريل عليه السلام على شكل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولايعرفه أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا جالسين بين يديه يأخذون منه أحكام الشريعة، فتقدم الرجل حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يديه على ركبتيه، وبدأ يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان، وعندما كان يتلقى الجواب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يجيبه بكلمة 'صدقت' فتعجب الصحابة الذين كانوا بالمجلس من الرجل يسأل عن الأمر وعندما يسمع الجواب يقول 'صدقت' مما يدل على أنه كان يعلم بالجواب، ولكنه لماذا يسأل وهو يعلم بالجواب، فكان الإفصاح عن الواقع من رسول الله صلى الله عليه وسلم 'هذا جبريل جاء يعلكم دينكم'

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرعي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

العلماء والمجتمع

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ بانتشار الاسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها، انتزعت الدولة الإسلامية زمام القيادة من دولتي الفرس والروم، وعملائهما الدائرين في فلكها، ونشرت الهداية والعدل ودعت إلى وجوب تكريم الإنسان، وإلى المساواة، وإلى سيادة مبدأ التكافل الاجتماعي، هذه القيم السامية والضرورية لسعادة البشر تجاهلها الناس، فلما أعلنها الإسلام، وجعلها من أسس دعوته، لفت بذلك أنظار العالم بالمشرق والمغرب، وسار في طريق البناء الحضاري والفكري، وأصبحت العواصم الإسلامية تعج بالعلماء، وبمدارس العلم، ومعاهد البحث والترجمة والعمل على الاستفادة من حضارة وأداب وعلوم الأمم السابقة، وبذلك أضحت بغداد زهرة المدائن، وكذا غيرها من المدن الإسلامية كقرطبة، والقاهرة، وتونس، وفاس، ودمشق... وتألقت قبل ذلك المدينة المنورة، ومكة المكرمة والكوفة، والبصرة، وتعددت منابع الثقافة والعلم، وأمسى للعلماء شأن وأي شأن في المجتمع الإسلامي ، وكانوا محل تقدير وإجلال من طرف الأمراء والحكام، باعتبارهم حراس الشريعة، وحاملي لوائها، إليهم المرجع، ومعهم المشورة، باعتبارهم يحملوا مسؤولية الأمانة العلمية، بصبر وشجاعة وإخلاص، وكانوا ما بين ناصح للمنحرفين، ومحاسب لهم، دائبين على إسماع كلمة الحق بجرأة وصراحة تارة، وبليونة وأدب تارة أخرى، غير قابلين للمساومة مهما كانت الظروف، وامتحن عدد منهم، واستشهد عدد آخر في معارك الجهاد، تحملوا ذلك في صبر وثبات، ملتزمين بالاهتمام بتوعية الناس، والسهر على قضاياهم، وبذلك تأكدت حاجة الناس إليهم، وقالوا في حقهم: هم مصابيح الدجى، وأئمة الهدى، وحجة الله في أرضه، وهم نكاية الشيطان، وركيزة الإيمان... ودعم بعضهم هذه الأقوال بما ورد في الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حقهم ففي سند الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا طمست النجوم أو شك أن تضل الهداة" وفي سنن أبي داود والترمذي: أن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وأن العلماء ورثة الأنبياء" وفي سنن الترمذي، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض وحتى النملة في حجرها، وحتى الحوت في الماء ليصلون على معلم الناس الخير" إلى غير ذلك من الأحاديث، وهذا الثناء في حق العلماء كان من الحوافز التي جعلتهم يؤدون رسالتهم بتفان وإخلاص، وجعلتهم من الساهرين على مصالح المسلمين، ومن المهتمين بأمر الأمة بعزيمة لاتلين، متأسين بالأنبياء والرسل: فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وماضعفوا، وما استكانوا... ومضوا في تبليغ مايحب تبليغه.

وكان موقفهم من بعض المتسلطين والظالمين، موقفا صلبا شديدا، وبسبب العلماء ظل المجتمع الإسلامي محكوما بقواعد الشريعة الإسلامية عبر القرون والأجيال.

إذ أصبح العلماء حراسا لها، يقفون بالمرصاد أمام كل زيغ أو انحراف، وساندهم في ذلك المجتمع المسلم الذي يريد أن تكون سائر أعماله وفق شريعة الله، وتنافس أفراده في بناء المساجد ومدارس العلم، وأوقف أغنياؤه والموسرون منه أوقافا جليلة، بقصد دعم المسيرة العلمية التي يقودها العلماء والأمراء المؤمنون المخلصون، وكانوا جميعا في خدمة الأمة المتشبعة بروح التشبث بمبادئ الإسلام وقيمه وتوجيهاته، وكلما حزب الأمة أمر كانت تجد في علمائها وأمرائها مايكشف غمتها، وعندما تعرضت الأمة الإسلامية للغزو التتري الكاسح، كان العلماء في مقدمة العاملين على إنقاذها، وقام علماء العراق، والشام، ومصر بأداء رسالتهم خير أداء، وخبر العز ابن عبد السلام مشهور ومتواتر، والعلماء في الإسلام لايتميزون عن سائر الناس بلباس، ولابهندام، وميزتهم الوحيدة تخصصهم في دراسة وفهم مصادر التشريع التي هي الكتاب والسنة، والقياس والإجماع، وما أضيف إلى ذلك مما يتعلق بتحقيق مقاصد الشريعة ومصالح العباد، وبقدر تعمق العالم في فهمه لذلك تعلو درجته عند الله وعند الناس، وبقدر فهم العالم للمسؤولية الملقاة عليه، وتقديره للإرث النبوي الذي له نصيب فيه، تزداد مكانته.

فالله تبارك وتعالى حمل الناس جميعا مسؤولية الأمانة، وخص العلماء بالشهادة مع الملائكة بأنه لاإله إلا هو، المنفرد بالوحدانية والعلماء هم أجدر الناس بتحمل الأمانة التي كرم الله الإنسان بحملها في قوله تعالى: "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الإنسان..."(الأحزاب/72) وفسرت الأمانة بعدة تفسيرات.

فسرت بالفرائض التي فرضها الله على عباده، وفسرت بعقيدة التوحيد، وبالوفاء بالعهد، وبجودة العمل واتقانه، وبخلافة الإنسان لله في الأرض، وفسرت بالعقل تعظيما لشأنه، فالإنسان هو مستودع العقل، من بين سائر المخلوقات التي تدب على الأرض، فالله كرم الإنسان بالعقل الموصل إلى المعرفة، واستعمال العقل ليس حكرا ولامحتكرا من أحد، ولذا استعمل علماء المسلمين عقولهم في مجالات شتى، وفلاسفة المسلمين، كانوا علماء بأحكام الشريعة، ودارسين للقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف والفقه الإسلامي، كابن رشد، والغزالي، وابن سينا، والرازي، وجابر ابن حيان، وابن الهيثم، وابن طفيل، وابن البناء، وغيرهم، فهؤلاء كانوا من العلماء، فالعالم المسلم كان عالما موسوعيا، درس الفلسفة، والطب، والفلك، والرياضيات والموسيقى، والصيدلة، والبيطرة... ويحكى عن ابن سينا أنه كان يوصي مساعده بأن يوقظه قبل الفجر، وفي يوم بارد كثير الثلوج، أشفق عليه، لكنه استيقظ لنفسه، فسأله لماذا لم تفعل؟ قال: أشفقت عليك ياسيدي من هذا الجو البارد الذي لايطاق، فقال: ياسبحان الله، ألا تسمع أذان الفجر من المؤذن بأعلى الصومعة؟ والثلج ينزل عليه ؟ من الأجدر منا بالشفقة؟! انهض بنا لصلاة الفجر، فابن سينا، فيلسوف، وطبيب، لكنه لاعالم بالدين وملتزم بتطبيقه، والتوسع في المعرفة يساعد على معرفة الأبعاد المختلفة لأحكام الشرع ومقاصد الشريعة التي تعمل على حفظ كرامة الإنسان، وتمتيعه بكافة حقوقه، دون تمييز بين رجل وامرأة، ولابين لون ولون ، ولادين ودين، ولا إقليم وإقليم...

وإذا كنا نعيش في عصر التخصصات، فعالم الاجتماع، والاقتصاد، والطب، والعالم النفساني، والسياسي... كل هؤلاء مدعوون للمساهمة في حل كثير من المشاكل، والمسائل العويصة التي تستعصي على الفقيه، كل هؤلاء مدعوون، باعتبارهم مسلمين يتحملون مسؤولية الوصول إلى تحقيق العدالة التي بها تحفظ كرامة الإنسان.

(تتمة ص1)

إن الواقعة التي أثبتها هذا الحديث وقد أتينا عليها مختصرة، تضع الإنسان المسلم في فضاء محدد عليه أن يبحث عن موقع فيه ، فالإيمان معالمه محددة، أن تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، والإسلام أن تشهد أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتوتي الزكاة، وتصوم، رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وتصل إلى مرتبة أن يحبك الله بعد محبتك له فتصير مسيرا بالله ومع الله ومن أجل الله.

إن الذي دفع القلم للتذكير بهذا الحديث النبوي الشريف هو ورود ركن الحج ضمن مقومات الدين وأصوله وقواعده، فإذا كان تارك الصلاة لاإيمان له أو إيمانه ناقص يحاسب عليه فإن تارك الحج وهو مستطيع ماليا وبدنيا والعوائق مرفوعة عنه، والطريق آمن فإنه كذلك يحاسب عن الإخلال بأحد أركان الإسلام وهو الحج وبما أننا نعيش في أيام هي فترة يشرع المسلمون فيها بالقدوم إلى مكة محرمين بالحج أو العمرة أو هما معا. فإننا رأينا من المناسب أن نتناول موضوع الحج والعمرة بما فيه : واجبات ومندوبات ومباحات ومكروهات وممنوعات، مع الوقوف بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نستمع إليه في خطبه يوم وقوفه بنمرة في طريقه لعرفات وذلك في حجة الوداع لعام عشرة هجرية الموافق 632 ميلادية وقد كانت تلك الحجة مناسبة عظيمة للمسلمين ستبقى مشرقة بأنوارها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إذ لولاها لما أدى المسلمون حجتهم كاملة ولو في عهده صلى الله عليه وسلم، ذلك أن حجة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت مصدرا لكثير من الأحكام في ميدان الحج وفي ميادين كثيرة سنحاول إن شاء الله الإشارة إليها في حينها..

الحج كما رأينا قاعدة من قواعد الدين الإسلامي، وهو واجب على كل مسلم عند توفر الشروط وانتفاء الموانع، ومعرفة أحكامه وشروطه يعتبر جزءا من التفقه في الدين، والله عز وجل يقول في كتابه الحكيم "فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين" الآية:122 من سورة التوبة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" إن نزول أحكام الله على قلب الإنسان كان مصدره الوحي، وهو وسيلة خاصة بالأنبياء ومنذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي وبقي على المسلم أن يجاهد من أجل أخذ العلم في شؤون الحياة كلها، ليعيش في مجتمعه وهو يعرف حقوق الله وحقوق العباد، وواجباته نحو الله، والتزاماته نحو أخيه الإنسان، وإذا كانت العبادة جزء من حياة المسلم، فالله عز وجل لايعبد عن جهل وإنما عبادته تتم على الطريقة الصحيحة بعد العلم بشروطها وظروفها.

ومادمنا في فضاء الحج والعمرة فإن الحياة في ساحته تحتاج إلى علم صحيح كامل حتى يقوم الإنسان بأداء عبادته كاملة كما حددها الله عز وجل وبينها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاشها في حجته الوحيدة التي قام بها في آخر عهده بالدنيا بعد أن أكمل الله نزول أحكام الدين، وأخبره وهو في شعائر الحج بقوله "اليوم أكملت لكم دينكم".

ونتابع رحلتنا الفقهية في الحج في العدد القادم إن شاء الله.

الوثاق

مسائل الخلاف في ذات الوجهين

للعالم العلامة سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

قال الشيخ الفقيه الامام العالم العلامة المقرئ النحوي اللغوي سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي رضي الله عنه، قال سليل عبد السلام محمد الفاسي ذوي الارحام

واما في اللغة فقال ابن مالك وقد ردها الشاعر بناء على الاعتداد بالحركة العارضة في قوله:

يا حب قد امسينا
ولم تنم العينا

ذكره في شرح كافيته عند قوله فيها:

ولم تنم العينا
وقد رمت القلب ضوء عينا

فانظره، ولك أن تقول إن ذلك من باب الاشباع، ثم يجوز في الابتداء الاقتصار على اللام التي نقلت اليها الحركة اعتدادا بتلك الحركة، وليستغنى عن الهمزة، وهذان الوجهان جائزان ظهرت علامة الاعتداد بالعارض، كالادغام للتنوين من عادا الأولى في اللام التي نقلت الحركة إليها ولم تظهر كباني لام التعريف، كما نص الداني في سورة النجم، ونص غيره وذلك لورش وغيره ممن ينقل فهو وغيره من الناقلين في هذا الحكم سواء، وهو يجد نص الشاطبية لحمزة.

••••

فحمزة وإن كان لا ينقل إلا في حال الوقف، وأبو عمرو وقالون الذان لم ينقلا إلا في حرف واحد وهو عادا الأولى لورش،

ثم ان الحركة التي للتخلص من سكونين في بيس الإسم المسوق، وهي وإن كانت لازمة لا تفارق محلها اشتركت مع حركة النقل التي تفارق محلها تارة، وتوجد فيه أخرى في العروض، فلزمها حكمها، وهو جواز الوجهين، وتصدر اعتبار الأصل فيها لظاهر الرسم، وإن قال الجعبري الحذف أوجه لا لرجحان العارض الدائم على العارض والمفارق.

••••

قال لكني سألت بعض شيوخي فقال الابتداء بالهمز، وعليه الرسم اهـ فقوله وعليه الرسم، كانت علة للابتداء بالهمز الذي أجابه شيخنا، لأن موافقة الرسم مطلوبة ولو في وجه، وقد أمكنت في الابتداء في هذا المحل فتترجح وهو ظاهر، والله تعالى اعلم.

••••

ووجه تفصيل بها مؤنث
مقدم عند علي فابحث
في امالة فتحة ما قبل هاء المؤنث

وجهان:

الأول وهو المفصل لتصدير الداني به، وقوله بعد ذكر الوجه الثاني، والأول اختار وإن قال في جانب الوجه الأول والنص على الكسائي في استثناء ذلك معدوم بإطلاق القياس في ذلك، قرأت على أبي الفتح عن قراءته على عبد الباقي هـ.

وأبو الفتح هو طريقه في التيسير والله تعالى اعلم.

••••

لورشهم في باب سترا قدم
تفخيم واترك سواه وافهم

تصدر التفخيم فيه لاقتصار الداني عليه في التيسير، وبه الأخذ والله تعالى أعلم.

وذكر الشاطبي الوجهين رحمه الله في قوله اعمر أرجلا فالترقيق من الزيادات، وقد ذكر الوجهين الداني رحمه الله في غير التيسير والله جلت قدرته اعلم.

وقدما تفخيم راء كسر
في وقفها ورققن في المر

وإذا وقعت الراء مكسورة في الطرف وليست بعد كسرة أو ياء ساكنة، أو حرف ممال أو فتحة ممالة ففيها في الوقف عليها وجهان، ذكرها الشاطبي في قوله، وتفخيمها في الوقف أجمع اشمالا، والمصدر التفخيم إذ هو الفاضل عنده والتدقيق هو المفضول وعلى التفخيم اقتصر في التيسير والله اعلم.

وذكر الترقيق فيها مكي، وابن شريح وقال المصري، وما أتت بالترقيق وأصله فقف عليه به إذ ليست فيه بمقطر لكنه يشترط ألا تكون الحركة عارضة نحو، وانحر ان شانيك لورش، واذكر اسم ربك للجماعة نص عليه ابن شريح والله اعلم.

••••

وهذا في الوقف بالسكون، وأما للوقف بالروم فكالوصل، ولا يجوز فيه تفخيم وهو معنى ورقد في المر والله اعلم.

وصدرا في الداع مع دعان
حذفا لقالون فخذ ببيان

صدر الحرف فيهما لاقتصار التيسير عليه والله اعلم.

صدر لقالون بحذف الالف
من انا إلا في الثلاثة اعرف

صدر حذف الالف منها لتصدير الداني به في التيسير والله اعلم.

وتجل مبناء يميل أولا
الف تورة بحيث حصلا

صدر وجه الامالة لتصدير الداني به التيسير والله اعلم.

والقصر في باب أءنزل يرى
مقدما لابن القلاء لامرا

تصدر القصر فيه لاقتصار الداني عليه في التيسير والادخال فيه من زوائد القصيد والله اعلم.

••••

هانتم صدر ورش فيه
بين بين قل بلا تمويه

صدر تسهيله له لاقتصار الداني عليه في التيسير والله اعلم.

وصدر الاضجاع في والجار
ورش وجبارين قل للقاري

صدر وجه إمالة كلمتي والجار وكلمتي جبارين لاقتصار الداني عليه في التيسير والله اعلم.

••••

كما يرى ترقيق راء حيران
وراء ذكرى الدار فادر التبيان

اما راء حيران فصدر فيه الترقيق لاقتصار الداني عليه وقطعه به في التيسير، وأما راء ذكرى الدار فلا احفظ الخلاف فيها الشاطبية، وذكره ابن بري في الدرر اللوامع في قوله:

والخلف في وصلك ذكرى الدار
ورققت في المذهب المختار

ولم يذكر ذلك غيره، وإلا أبو العباس بن حرب في كتابه الذي وضعه في قراءة ورش اخذا من كلام الداني في ايجاز البيان ففيه ما يوهم ذلك، وليس ذلك كذلك، فإن الداني رحمه الله نص في باب الراءات أن ورشا يميلها بين اللفظين لأجل كسرة الذال وعليه فلا يكون فيها خلاف بل ترقق وصلا لكسرة الذال ووقفا لكسرة نفيها حيث تمال الألف التي بعدها، لكن يقال هو في الوقف ممالة لكسرة نفيها، فإذا لقيت الساكن الذي بعدها ذهبت الألف الممال فتذهب الفتحة الممالة شرطا لها بذهابه، وهم لا يختلفون بالسبب الحاضر وينيبونه عن سبب آخر أقوى منه إذا غاب، بدليل أن باب جاء أجلهم، جعلوا مده لابي عمرو وقالون والبزي متصلا، ولم يقيموا همزة أجلهم مقام همزة جاء على ما هو مذهب الداني في أن المحذوفة هي الأولى ولو أقاموها مقامها لكان من باب المد المنفصل فياتي لقالون والدوري فيه المد والقصر اللذان لهما في المنفصل، ويأتي للبزي والسوسي فيه القصر فقط، وهذا وإن قاله الجعبري فالأخذ بخلافه لان القراءة للبزي والسوسي بالإشباع وكذا لقالون والدوري وجها واحدا فما بالهم اختلفوا بذلك في هذه الكلمة فاعتبروا كسرة الذال فرققوا الراء لها عند ذهاب حركة نفسها.

وقد يجاب بأن الراء داعية إلى الترقيق إذا وقعت بعد كسرة أو ياء لاستحسانه فيها، فاعتبر لذلك والله علم.

••••

والشاطبي رحمه الله لم يتعرض لهما بنفي ولا بإثبات فيحتمل أن تكون عنده من باب وترى الناس وترى الأرض هامدة، ونرى الله، ومذهب ورش في ذلك التفخيم، ويحتمل أن تكون عنده من باب افنضرب عنكم الذكر صفحا، فترقق وجها واحدا وبهذا أخذت، وإنما تعرضت لها، وإن كان خلافها ليس صريحا ولا ملو حاله في الشاطبية تكميلا للفائدة، وخشية أن يتعرض بها مطلع على الدرر اللوامع والله اعلم.

باب ارايت صدرا تسهيلا
به لعثمان تكن نبيلا

تصدر التسهيل به لقطع التيسير والله اعلم.

والفتح في حرفي رءا يقدم
من قبل ساكن اعلموا

صدر لتصدير الداني به في التيسير والله اعلم.

••••

باب ءالله فابدل أولا
به وسهلا ولا تهولا

الوجهان في التيسير، ونصه ءامنتم به ءالى وءالن وقد عصيت بفتح اللام من غيرهم، والباقون بإسكان الام وهمزة بعدها، وكلهم سهل همزة الوصل التي بعد الاستفهام في ذلك وشبهه نحو قوله تعالى قل ءالذكرين قل ءالله اذن لكم، ءالله خير، ولم يحققها أحد منهم ولا فصل بينهما ولا بين التي قبلها بألف لضعفها ولان البدل في قول أكثر القراء والنحويين يلزمها هـ فصدر كما ترى بالتسهيل، وسبب البدل الى أكثر القراء يرجع البدل بنسبته الى الاكثر، وبذلك صرح الشاطبي رحمهما الله في قوله، فللكل ذا أولى والله اعلم.

••••

فإن عدا الساكن تغيير خذا
بوجهي العارض والأصل وذا

في كلمتي الان قل لنافع
وصدر الاشباع لا مدافع

فإن أخذت باعتبار الأصل
فالثاني ذو وجوهه في الأصل

وجاز قصر باعتبار الجمع
بين اعتبارين فذن بالشرع

وإن أخذت باعتبار ما عرض
فالعكس في الحكمين حق مفترض

والمد فالقصر أو القصر فقط
على اعتبارين لعيسى لا شطط

لكنما الأخذ لتوسيط جرى
وقصرنا فاتبع ما يعترى

وذا لعثمان وأما عيسى
فالقصر حكمه اعلم التاسيسا

يعني أنك إذا ابدات همزة الوصل وهي همزة ال المعرفة وقع حذف قبل ساكن هو لام التعريف، وهي لازمة لها فيجب اشباعها بلا نزاع نظير لام كان صادقان في الفواتح فإن تغير ذلك الساكن بنقل حركة همزة بعده إليه وذلك في كلمتي ءالن من قوله تعالى الئم إذا ما وقع ءامنتم به ءالن وقد، وقوله تعالى ءالن وقد عصيت قبل رتب الحكم على أصله من السكون، فيجب المد على عارضه من التحريك، فيجب القصر إذ لا سبب للإشباع، فإذا نظر في هذه الكلمة بهذا النظر وجب تصدير، إشباع حذف المد المبني على الاعتداد بالأصل الذي هو الراجح ولا مدافع له.

ثم اعلم ان المأخوذ به في هذه الكلمة لورش هو التوسط اعتبارا بسببية الهمز المتقدم على حذف المد، ولقالون هو القصر على ذلك الاعتبار وذلك مبني على اعتبار تأصل في لام التعريف التي نقلت اليها، وبيانه أنها أي ال المعرفة حقها ان توجد في الكلمة مرة وتفقد منها أخرى، لأنها وضعت لافادة معنى في الكلمة فتوجد حيث تراد تلك الافادة وتفقد حيث لا تراد، وهو في كلمة ءالن زائدة على الصحيح غير مفيدة لما وضعت له فيها لازمة لها لا تفارقها فصارت لذلك كأنها غير طبيعة حرف التعريف، وكأن الكلمة التي هي فيها ركبت منها ومن باقي الحروف، فلما وقع النقل اليها على هذا الاعتبار كان كالنقل في متصل، والنقل في المتصل أهدروا فيه اعتبار الأصل واعتدوا بالعارض وجها واحدا بدليل عدم جريان أوجه الهمز السابق على حرف المد كما في قد نرى تقلب وجهك في السماء إذا حله بذليل جواز الروم والاشمام في نحو وما مسني السوء، ولا المسيء مع انتفائهما من الحركة العارضة، نص عليه سيبويه، وهو عند الجعبري وغيره، فلما اعتبر في هذه الكلمة هذا الانتقال المذكور كانت حركة اللام أصلية وتنوسي أصلها من السكون، فلم يكن بد من اعتبار الهمز السابق، فأخذ بوجوهه لورش، والأداء له بالاقتصار على التوسط منها فأجرى هذا الحرف على هذا الاعتبار، فحوى باب ءامن، وقد تقدم تصدير التوسط في الأصل كله، وأخذ لقالون بالقصر اذ ذاك أصله في ذلك الأصل، وبهذا كان يأخذ ولي الله العلامة أبو علي الحسن الدرعي، واستمر عليه العمل الى الآن وهولا يمنع اعتبار الأصل حتما وبه كان يأخذ غيره، وهذا حاصل ما في ذلك النظام والسلام والله تعالى اعلم.

••••

وياء محياي لورش تسكن
بدءا، ونصهم بذاك معلن

صدرا سكانها لأنه المنصوص لورش، والفتح كان يراه اختيارا فيما قيل والله اعلم.

(يتبع)

في ظلال الحديث

الحديث الثامن عشر والمائة: إكرام الجار

■إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن ابن عمر - رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه" رواه البخاري ومسلم.

تخريج الحديث

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار (5/2239/5669)ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه (4/2025/2624) والترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار (4/332/1942)وابو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في حق الجوار (4/338/5151)وابن ماجة في سننه، كتاب الأدب، باب في حق الجوار (2/1211/3673)واحمد في مسنده، مسند المكثيرن من الصحابة، باقي المسند السابق (2/85/557) ...

درجة الحديث:

حديث صحيح متفق عليه عند البخاري ومسلم.

سند الحديث:

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه، وقال: حدثنا محمد بن منهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا عمر بن محمد عن أبيه عن ابن عمر حدثنا محمد بن منهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا عمر بن محمد عن أبيه عن ابن عمر وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا محمد بن منهال: هو أبو جعفر محمد بن المنهال التميمي البصري الضرير الحافظ الحجة سمع جعفر بن سليمان ويزيد بن زريع وأبا عوانة والطبقة وعنه البخاري ومسلم وأبو داود والدارميان وأبو يعلي الموصلي ويوسف القاضي وخلق. إمام ثبت يسرد من حفظه قال أحمد العجلي: بصري ثقة لم يكن له كتاب فسألته ألك كتاب قال كتابي صدري. توفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين (231).

حدثنا يزيد بن زريع: هو أبو معاوية يزيد بن زريع الحافظ الحجة محدث البصرة حدث عن أيوب السختياني وخالد الحذاء وحبيب المعلم... وعنه علي بن المديني وأمية بن بسطام ومحمد ابن المنهال الضرير... وخلق كثير. قال أحمد بن حنبل: كان ريحانة البصرة ما أتقنه وما أحفظه وقال أبو حاتم: ثقة إمام وقال أبو عوانة: صحبت يزيد بن زريع أربعين سنة يزداد في كل سنة خيرا وقال بشر الحافي: كان يزيد متقنا حافظا ما أعلم أني رأيت مثله ومثل صحة حديثه وقال يحيى بن سعيد القطان: لم يكن هاهنا أحد أثبت منه. مات رحمه الله تعالى في سنة اثنتين وثمانين ومائة (182)وله 81سنة.

حدثنا عمر بن محمد: هو عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب مدني نزل عسقلان روى عن سالم بن عبد الله، وروى عنه مالك والثوري ويزيد بن زريع. عن يحيى بن معين انه قال عمر بن محمد بن زيد ثقة. وقال أبو حاتم الرازي ولد محمد بن زيد بن عبد الله خمسة أوثقهم عمر وهو ثقة صدوق. ومات رحمه الله مقتولا سنة خمسين ومئة (150) روى له الجماعة سوى الترمذي.

عن أبيه: هو محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب روى عن جده ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وروى عنه بنوه واقد وزيد وعاصم وعمر وأبو بكر وسويد بن نجيح... قال أبو زرعة مديني ثقة ، وقال أبو حاتم الرازي: هو ثقة يحتج به وبحديثه، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات روى له الجماعة.

عن ابن عمر: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر، القرشي العدوي المكي ثم المدني رضي الله عنهما، ولد في السنة الثانية من البعثة، أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه وأمه وعمره إحدى عشر سنة، رده النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر إشفاقا عليه لصغر سنه، أول غزواته الخندق ولم يتخلف بعدها أبدا، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وأمه زينب بنت مظغون، روى علما كثيرا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من الستة المكثرين من رواية الحديث (وهم: أبو هريرة ثم ابن عمر ثم ابن أنس ثم ابن عباس وجابر وعائشة) روي له 2630 حديثا. كان من فقهاء الصحابة ومتقيهم وزهادهم، حج ستين واعتمر ألف عمرة واعتق ألف رقبة، وأتاه اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها، ومناقبه كثيرة. قال ابن المسيب: لو شهدت لأحد انه من أهل الجنة لشهدت لابن عمر، توفي رضي الله عنه قرب مكة بعد الحج سنة74هـ.

أهمية الحديث:

هذا الحديث من أهم أسس المجتمع المسلم، بل الإنساني السعيد، حيث إذا احترم الناس جيرانهم وادوا حقوقهم وصبروا على اذاهم، تحقق الأمن والاستقرار والطمأنينة...

المعنى العام:

1. وجوب العناية بالجار والوصاية به وحبه وإكرامه:

من كمال الإيمان وصدق الإسلام الإحسان إلى الجار والبر به والكف عن أذاه، فالإحسان إلى الجار وإكرامه أمر مطلوب شرعا، بل لقد وصلت العناية بالجار في الإسلام، إلى درجة لم يعهد لها مثيل في تاريخ العلاقات الاجتماعية الإنسانية.

قال تعالى: (واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لايحب من كان مختالا فخورا) النساء: 36.

وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أو قال لجاره ما يحب لنفسه"البخاري.

وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره" قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وعن ابي ذر قال إن خليلي صلى الله عليه وسلم: "أوصاني إذا طبخت مرقا فأكثر ماءه ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف" رواه مسلم، وكان ابن عمر رضي الله عنه له جار يهودي، فكان إذا ذبح الشاة يقول: احملوا إلى جارنا اليهودي منها.

بالإضافة إلى الحديث الذي نحن بصدده، وهكذا يتبين لنا أن حسن الجوار أمر مطلوب شرعا، بل ويعتبر من مقومات الحياة السعيدة...

2. تعريف الجار:

الجار من جاورك جوارا شرعيا، سواء كان مسلما أو كافرا، برا أو فاجرا، صديقا أو عدوا، محسنا أو مسيئا، نافعا أو ضارا، قريبا أو أجنبيا، بلديا او غريبا.

3. حد الجوار:

اختلف العلماء في حد الجوار على أقوال:

القول الأول: أنه أربعون دارا من كل ناحية، وهو قول عائشة رضي الله عنها والحسن والزهري والأوزاعي. والقول الثاني: كل من سمع النداء فهو جار، وهو قول علي ابن أبي طالب رضي الله عنه. والقول الثالث: من سمع إقامة الصلاة فهو جارذلك المسجد. والقول الرابع: من صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار. والقول الخامس: من ساكن رجلا في محلة أو مدينة فهو جار... وقال الألوسي: "مبنى الجوار وحده يرجع فيه إلى العرف".

وإن المتأمل في هذه الأقوال نجد أن الأولين اختلفوا حول توسيع الدائرة التي يدخل فيها الجار، حتى يبرؤوا الذمة أمام الله تعالى بتأدية حقوق جيرانهم، أما اليوم فقد يكون الرجل منا لايعرف جاره الذي يساكنه في نفس العمارة ولا أقول الحي، فاللهم رد بنا إلى سواء السبيل...

4. منزلة الجار في الإسلام:

أ. قرن الله تعالى حق الجار بعبادته وحده والإحسان إلى الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين.

ب. تكررت الوصية من جبريل عليه السلام بالجار حتى ظن النبي صلى الله عليه وسلمم أنه سيورثه.

ت. جعل النبي صلى الله عليه وسلم إكرام الجار والإحسان إليه وعدم إيذائه من علامات الإيمان.

ث. نفي النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان عمن لايأمن جاره بوائقه، وعمن لايحب لجاره مايحب لنفسه.

ج. ترتيب الخيرية عند الله على الخيرية للجار.

ح. جعل النبي صلى الله عليه وسلم حسن الجوار سببا لعمران الديار وزيادة الأعمار.

خ. عد العلماء أذى الجار من الكبائر لكثرة ما ورد من التحذير من أذيته.

5. حقوق الجار في الإسلام: كل مايذكر من حقوق الجار يرجع في الحقيقة إلى ثلاثة حقوق:

الأول: كف الأذى عنه:

أ. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال صلى الله عليه وسلم : "أن تجعل لله ندا"، قلت: ثم أي؟ قال: "أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك" قلت: ثم أي؟ قال: "أن تزاني حليلة جارك".

ب. وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ماتقولون في الزنا؟" قالوا: حرام، حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره"، قال: "فما تقولون في السرقة؟" قالوا: حرام، حرمها الله ورسوله، فهي حرام، قال: "لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أيسرق من بيت جاره".

ت. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يارسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: "لاخير فيها، هي من أهل النار"، قال: يارسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها وانها تصدق بالأثوار من الأقط ولاتؤذي جيرانها بلسانها، قال: "هي في الجنة".

ج. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: :لايدخل الجنة من لايأمن جاره بوائقه".

ح. وعن أبي شريح رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والله لايؤمن، والله لايؤمن، والله لايؤمن"، قيل: ومن يارسول الله؟ قال: "الذي لايأمن جاره بوائقه".

الثاني: الإحسان إليه وإكرامه:

أ. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره".

ب. عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليحسن إلى جاره".

الثالث:احتمال أذاه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال: «اذهب فاصبر"، فأتاه مرتين أو ثلاثا فقال: "اذهب فاطرح متاعك في الطريق"، فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه: فعل الله به وفعل وفعل، فجاء إليه جاره فقال له:ارجع لاترى مني شيئا تكرهه".

قال ابن العربي رحمه الله: "وحقوقه عشرة، يجمعها الإكرام وكف الأذى".

وفي الحلقة المقبلة بإذن الله تعالى، سنحاول ذكر وإبراز بعض مظاهر إكرام وكذا إهانة وإذاية الجار، حتى نفعل مايرضي الرحمن من البر والإحسان، ونتجنب مايفسد العلاقات الاجتماعية، ويغضب الرب، والله تعالى نسأل أن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين أجمعين.

حديث المنابر

ولله على الناس حج البيت....

إعداد الأستاذ: عبد الله الطيبي كديرة

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين.. الحمد لله الذي أسلمت له كل الكائنات في السموات والأرض ومابينهما.. الحمد لله الذي فرض علينا الحج وجعله بكل مناسكه وأركانه وفرائضه وسننه ومستحباته رمزا لاستسلام المؤمنين لما أمرهم به ربهم عز وجل، طاعة وخشوعا وانقيادا.. الحمد لله الذي جعل من الحج ومناسكه وكل أعماله رمز ارتباط أمة الإسلام بالحنيفية السمحة.. بدين التوحيد الصافي الذي هو الإسلام.. دين المسلمين.. ملة أبينا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام..الحمد لله الذي جعل من الحج رمز وحدة للأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها...

وصلى الله وسلم وبارك على أكرم خلق الله على الله، وأحب خلق الله إلى الله سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه واهتدى بهداه، واستنار بالنور الذي انزل عليه وحيا كريما من عند الله.. صلى الله عليه وسلم وبارك كما علمنا ماينفعنا في ديننا ودنيانا.. فهو القائل عليه صلاة الله وسلامه في حديث طويل: ".. فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لاتضع ناقتك خفا ولاترفعه إلا كتب الله لك به حسنة، ومحا عنك خطيئة، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة، وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله تعالى يهبط إلى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة يقول: عبادي جاؤوني شعثا وغبرا من كل فج عميق يرجون جنتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل أو كقطر المطر، وزبد البحر لغفرتها، أفيضوا عبادي مغفورا لكم، وعمن شفعتم له، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات. وأما نحرك فمدخور عند ربك. وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة، وتمحى عنك خطيئة، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولاذنب لك، يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول: اعمل فيما يستقبل، فقد غفر لك ما مضى" البزار والطبراني في الكبير.

ايها المؤمنون ! يقول ربنا عز وجل في سورة آل عمران من كتابه الحكيم: ".. ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا..." واتفق الجمهور من المسلمين على ان هذه هي اية وجوب الحج كركن من أركان الإسلام ودعامة من دعائمه... وهو بنص الحديث الصحيح وبإجماع السلف الصالح لهذه الأمة واجب على المكلف مرة واحدة في العمر... بل إن سماحة الإسلام ومراعاته طاقات الإنسان وحدود قدراته، ورفعه عنه الحرج والتعسير، وبناءه أحكامه وحكمه على التبشير والتيسير تبرز جلية واضحة في فرضية الحج، فقد روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا" فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم" ثم قال: "ذروني ماتركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه مااستطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه".. وفي حديث آخر أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل: "لوقلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها، ولن تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة، فمن زاد فهو تطوع".

إذن الحج فريضة تتطلب الاستطاعة بكل معانيها مادية كانت أم معنوية، وهو موسم ومؤتمر عام يلتقي فيه المسلمون من شتى أقطار هذا المعمور عند بيت الله المعمور.. حيث يعبدون ربهم ويوحدونه حق التوحيد، ويجمعون شملهم ويوحدون صفهم وكلمتهم ويعتصمون جميعا بحبل ربهم، ولايتفرقون استجابة وتلبية لنداء ربهم على لسان أبيهم ابراهيم عليه السلام الذي سماهم المسلمين... وطاعة لنبيهم الذي جاءهم بالإسلام خاتمة الشرائع والأديان.. كل هذا يكون في هذا البيت العتيق مثابة الناس وأمنهم.. يحجون إليه زرافات ووحدانا رجالا وركبانا، من كل فج عميق.. لايرفثون ولايفسقون ليخرجوا من ذنوبهم ومعاصيهم كيوم ولدتهم أمهاتهم.. يقعد لهم الشيطان على صراطهم المستقيم فيدحرونه ويقهرونه.. ويحققون فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه عنه إمامنا مالك رضي الله عنه: "مارؤي الشيطان في يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة" وانتم تعرفون أيها المؤمنون أن الحج عرفة.. وأن من الذنوب ذنوبا لايكفرها إلا الوقوف بعرفة.. كيف لايغتاظ الشيطان الرجيم؟ كيف لايقهر؟ كيف لايدحر؟ وهو يرى المسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وتباعد اوطانهم يجتمعون على قلب رجل واحد، وعلى نظام واحد وعلى دعاء واحد، وعلى لباس واحد، لعبادة رب واحد.. في بقعة مباركة طيبة.. يجتمعون بالكعبة البيت الحرام... بمكة البلد الحرام وبمنى المتسع الفسيح لحجاج بيت الحرام وبعرفة المرتفع الشامخ لضيوف الرحمن في بيته الحرام... وحد بين قلوبهم في الخشوع والخضوع والإنابة إله واحد، ووحد بين عقولهم في العبادة والطاعة والامتثال كتاب واحد

. في الحج المبرور تبرز واضحة جلية مقومات الأخوة الإسلامية ويحس الحاج المؤمن عمليا أنه أخ لكل مسلم وأن كل مسلم أخ له وإن لم تلده أمه...

. في الحج المبرور يظهر لكل ذي عينين أن الحكمة فعلا من جعل الناس شعوبا وقبائل هي حقا للتعارف والتآلف.

. في الحج المبرور يعلم كل من يعي ويعقل أن العبادة حق العبادة هي في المحبة والمودة والألفة وسعة الصدر بين المؤمنين من كل أقطار العالم.. وأن هذه العواطف السامية ينبغي أن تمتد جذورها في قلب كل مؤمن يحج حجا مبرورا لتشمل كل الناس بل وكل المخلوقات فلا رفث ولافسوق ولاجدال ولا قتل صيد.. لأن الحج المبرور كبح لنزوات النفس وقهر لشهواتها... وتغلب على هواها وكفها عن التصرف بغير ضابط ولاوازع من خشية ربها وتقواه سبحانه..

. في الحج المبرور يدعو كل مؤمن ربه عز وجل ويسأله، ويدعو معه أهل الخير من الحجاج الميامين الحاضرين... وفي مثل هذا المقام الكريم لابد أن تظهر آثار استجابة الرحمن الرحيم، سكينة في النفس وطهارة في القلب وراحة في الضمير، وعزم على التوبة والصلاح والإصلاح... وكيف لايستجيب رب العزة الرؤوف الرحمن الرحيم اللطيف بعباده لعباد أذنبوا وتابوا وأنابوا وجاؤوه نادمين مستغفرين يبكون على مافرط منهم من معاصي وزلات؟ كيف لايستجيب سبحانه لقلوب منكسرة تعترف بتقصيرها للجليل العزيز الغفار الوهاب ذي الفضل العميم، ودموع العصاة التائبين هي أهم أسباب إطفاء نار غضب ربهم عليهم.. وأي كريم أكرم من الله تعالى؟ وهل يرد الكريم سبحانه من قصده في بيته طالبا صفحه وعفوه وغفرانه...في الحج المبرور يتوسل المؤمنون إلى الله بالله لأنهم هناك في تلك البقاع الطاهرة يقصدون محسنا كريما يعطي قبل أن يطلب، فهو لايخيب أمل من يقصده بالطلب...

. الحجاج الميامين يتحملون مشقة السفر شوقا إلى حبيب عظيم يراهم ولايرونه..

يقول الإمام ابن الجوزي في كلمة رائعة له:

هل رأيت قط عراة أحسن من المحرمين؟ هل شاهدت ماء صافيا أصفى من دموع المتأسفين؟ هل لصق بالأرض أحسن من جباه المصلين؟ هل حرك القلوب صوت ترجيع لحن، أو رنة وتر كما حرك حنين المشتاقين؟ وهل ارتفعت أكف وانبسطت أيد فضاهت أكف الراغبين؟

. والحجاج الميامين أحسن المحرمين وأكرمهم

. والحجاج الميامين بدموع الأسف التي يسكبونها أقرب إلى الله من كل المتأسفين الباكين.

. وجباههم حين تلتصق بأكرم أرض الله يزداد نورها انبلاجا ويزداد صبح جمالها وجلالها انفراجا..

. وتلبية الحجاج حين يرفعون عقائرهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لاشريك لك.. حين يلهجون بهذه التلبية يحركون القلوب ويشنفون الأسماع بأحسن وأروع الألحان والأصوات...

والحجاج الميامين حين يرفعون أكف الضراعة إلى العلي العليم سبحانه يدعونه رغبا ورهبا وحبا واشتياقا وخشوعا... فإنما بيد كل منهم مفتاح غير صدئ ولامستعص يستفتح به أبواب رحمة الله يستمطرها على عباده ممن حج أو لم يحج... فاللهم إليك نرفع أكف ضراعتنا وابتهالنا أن تكتب لنا في عمرنا القصير هذا بهذه الدنيا حجة مبرورة يكون لنا بفضلك ومنك وكرمك إليها أحسن وأقوم سبيل، وأغننا بفضل منك ياجواد ياكريم يامن هو أغنى الأغنياء عن العالمين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين.. الحمد لله الذي جعل من بين أفضل الأعمال التي تقرب إليه الحج المبرور الذي لايرتكب فيه صاحبه معصية من فسوق أو رفث.. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله الذي علمنا أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة...

أيها المؤمنون ! خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجاج بمسجد الخيف بمنى فقال عليه الصلاة والسلام: "نضر الله عبدا سمع مقالتي فعمد بها يحدث بها أخاه: ثلاثة لايغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم" (كنز العمال) ومن هذه الخطبة البليغة رغم إيجازها نعلم أن من غايات الحج وجميع العبادات غير الحج أن يكون المؤمن في جميع أعماله مبتغيا وجه الله لايعمل رياء ولاسمعة، وأن ينصح من ولاهم الله أمر المسلمين في بلده، ليعينهم على حسن القيام بما ولاهم الله تعالى عليه، وأن يسعى إلى جمع كلمة المسلمين ورأب صدعهم ولزوم جماعتهم وعدم الخروج عنها في السر والعلن.. وإن حاد عن أحد هذه الأمور الثلاثة فسيكون عمله هذا إغلالا أي خيانة والعياذ بالله... ودعوة المسلمين بألا يصلح الله شؤون الخائنين تحيط به غيبا وشهادة.. نسأل الله حسن العاقبة في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الأخرة.

فاللهم إنا نعوذ بكلماتك التامة من غضبك وشر عبادك ومن همزات الشياطين وأن يحضرونا.. اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك أبناء إمامك في قبضتك، نواصينا بيدك ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك، نسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن نور صدورنا وربيع قلوبنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا... بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم... أمير المؤمنين محمد السادس اللهم كن له وليا ونصيرا ووفقه وسدد خطاه، وأقر عينه بولي عهده مولاي الحسن وبصنوه مولاي رشيد، وبكل أهله وولده وبشعبه النبيل الكريم، اللهم إنا نجعلك في نحور أعداء ديننا ووطننا ونعوذ بك من شرورهم، ونعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته.

اللهم لاتجعلنا ممن يصدق عليهم قول الشاعر:

يحجون بالمال الذي يجمعونه
حراما إلى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهمو أن وزره
يحط ولكن فوقه في جهنم

واجبات الحج ومندوباته وممنوعاته

■ إعداد الأستاذ: محمد حمان

الحلقة الثالثة

■ وإلى جانب هذه الأركان الأربعة من مناسك الحج هناك واجبات أخرى عديدة، ومندوبات متعددة هي الأخرى، ومع هذه وتلك هناك ممنوعات مختلفة؟ غير أن ترك الواجب، كطواف القدوم مثلا . يجب فيه الهدي وعند العجز عنه يجب صوم عشرة أيام، ثلاثة منها في البقاع المقدسة، والباقي وهو سبعة أيام يصومه المطلوب منه بعد رجوعه إلى بلده، وترك المندوب لاشيء فيه، مثل طواف الوداع، لأن كل مندوب إذا فعله الإنسان له الأجر والثواب، وإذا لم يفعله لاشيء عليه، وفعل الممنوع قد يترتب عليه بطلان الحج أو العمرة، وهو الجماع، وقد يلزم عنه على وجه التخيير . الجزاء بالمثل، أو الإطعام بما يساوي القيمة المقدرة عند أصحاب الاختصاص من علماء الشريعة، أو الصيام ليوم واحد عن كل مد من القيمة، وذلك في الصيد الممنوع على المحرم بالحج أو العمرة، وقد ينتج عن ذلك مجرد الفدية التي تكون . على التخيير . بصيام ثلاثة أيام في أي مكان، أو إطعام ستة مساكين، أو ذبح شاة ونحوها، ومن أمثلة ماتجب فيه الفدية تغطية الرأس بالنسبة للرجال، وحلق الشعر أو تقصيره، وتقليم الأظافر، واستعمال الطيب بالنسبة للجميع قبل رمي جمرة العقبة الكبرى التي يحصل بها التحلل الأصغر الذي يرفع الكثير من الممنوعات باستثناء النساء والصيد.

7. القرآن يجمل الأركان والواجبات والممنوعات:

وكتاب الله تعالى تعرض لجل ماسبق من الأركان والواجبات والممنوعات، مع تحديده لما يجب فيه الهدي، وماتجب فيه الفدية، حيث قال عز من قائل: "واتموا الحج والعمرة لله فإن احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون" البقرة/الآيات:203.196.

8. وجوب اتمام كل من الحج والعمرة:

فالنص القرآني السابق يصرح بأنه يجب على من يشرع في الحج أو في العمرة أن يتم كلا منهما، على أنه إذا منع من إتمام حجه أو عمرته وأحصر عنهما بسبب عدو أو مرض فله أن يتحلل ويذبح ماتيسر له من شاة ونحوها، كما انه يمنع عليه حلق رأسه إلى أن يتحلل من حجه أو عمرته، وإذا اضطر إلى هذا الحلق بسبب مرض في رأسه فعليه أن يفدي عن ذلك بإطعام ستة مساكين أو صيام ثلاثة أيام في أي مكان، أو ذبح شاة، وهو على التخيير فيما يفدي به.

وفي حالة قيامه بالحج والعمرة معا على وجه القران، أو على وجه التمتع بأن قدم العمرة ثم أتبعها بالحج فعليه الهدي، بخلاف المفرد بالحج وحده فلا هدي عليه، والذي يجب عليه الهدي ولم يجد سبيلا إليه يكون عليه أن يصوم عشرة أيام كاملة، ثلاثة منها بعد إحرامه بالحج في البقاع المقدسة وسبعة لما يعود إلى بلده، والهدي أو مايقوم مقامه في القران أو التمتع خاص بغير الذي يعيش داخل منطقة الحرم، وتقوى الله مطلوبة من كل الحجاج والمعتمرين وعموم المومنين حتى يجتنبوا أنفسهم عقاب الله، والحج لايكون في غير أشهره الثلاثة المحددة بنص الكتاب، وهي: شوال وذو القعدة وذو الحجة بخلاف العمرة فإنها تكون في كل السنة، والمطلوب ممن أحرم ودخل في المناسك الخاصة بالحج أو العمرة أن يبتعد عن كل انحراف من مغازلة للنساء، أو الإساءة إلى الآخرين، أو الدخول معهم في جدال عقيم لاخير فيه، وفاعل الخير مجزي عليه من قبل ربه الذي لايخفى عليه شيء من أفعال عباده، وإذا كان زاد التقوى مطلوبا من كل الحجاج والمعتمرين فإن عليهم كذلك أن يكونوا مزودين بكل ما يحتاجون إليه من الماديات حتى لايمدوا أيديهم إلى غيرهم، والحجاج والمعتمرون يباح لهم إلى جانب أدائهم لمناسكهم أن يبحثوا عن رزقهم بالوسائل المباحة شرعا، كالمتاجرة وغيرها .

9. الوقوف بعرفة ومايعقبه من المناسك:

ومما يتضمنه النص القرآني السالف الذكر الوقوف بعرفة، والانصراف منها إلى المشعر الحرام بالمزدلفة، حيث يتوقف الحجاج لزوما هناك، ويصلون المغرب والعشاء جمع تأخير مع تقصيرهم للرباعية، وعند نزولهم إلى منى مع الصباح يكون عليهم أن يقوموا برمي الجمرة الكبرى التي هي جمرة العقبة ابتداء من طلوع االشمس، وهي الجمرة الوحيدة التي ترمى صبيحة يوم عيد الأضحى، وذلك بسبع حصيات في حجم الفول الرقيق، مع التكبير عند كل رمي لأي حصاة من الحصيات السبع، ومع الحرص على أن تنزل كل واحدة منها في مكان الرمي، ومع تعويض مالا يصيب الهدف منها، وبهذا الرمي يحصل للحجاج التحلل الأصغر، ويباح لهم كل شيء ما عدا النساء والصيد، وعليهم أن يتبعوا هذا الرمي بنحر الهدي إن وجب عليهم، ويحلق الشعر أو تقصيره، ولهم أن ينزعوا عنهم ألبسة الإحرام، ويغتسلوا ويتطيبوا، ويلبسوا ثيابهم العادية، ولهم أن يتجه،ا في نفس اليوم بعد الرمي مباشرة إلى البيت الحرام ليطوفوا طواف الإفاضة ويحصل لهم بذلك التحلل الأكبر الذي يرفع عنهم المنع نهائيا، وتخيل لهم حتى النساء جمار ابتداء بالصغرى ومرورا بالوسطى وانتهاء بالكبرى وفي ثالث العيد ثلاث جمار أخرى بالكيفية السابقة، وبإمكانهم أن يتعجلوا ويذهبوا إلى مكة قبل مغيب الشمس من اليوم الثالث، وباستطاعته أن يبيتوا بمنى ويرموا الجمار الثلاث لليوم الرابع.

الترخيم

■ ذ: أحمد باكو

■ تحدث معجم لسان العرب عن مادة (ر.خ . م)بكلام كثير نذكر منه الرخم محركا بمعنى الاشفاق، والترخيم بمعنى التليين، والرخيم الحسن الكلام. والرخامة ليس في المنطق حسن في النساء. وفعله رخم (بالفتح والضم).(1)

وياتي الترخيم أيضا بمعنى القطع أو الحذف

والترخيم الاصطلاحي عند النحاة، مأخوذ من المعنيين أو أحدهما، لأن ترخيم الإسم فيه حذف لجزء منه. كما أن ذلك يؤدي تليينه على اللسان وتسهيل النطق به.

وهذا المعنى الذي لاحظه النحاة واستعاروا كلمة الترخيم للدلالة على مايقع لبعض الأسماء عند النداء من حذف واختزال. هي المناسبة التي استدعت ادراج اللفظة ضمن هذا البحث، للاستفادة منها في مقام مهم يتعلق بما نسمعه عن التوقيع بالاحرف الأولى في بعض المناسبات السياسية.

فقياسا على ترخيم المنادى بحذف جزء منه كقولهم يا (مال) بدلا من يامالك. ويا (فاطم) بدلا من يافاطمة، يحسن استعارة الكلمة بمعناها الاصطلاحي ذاك، للتعبير عن هذه الحالة. فنقول لاسيما في الأخبار، التوقيع بالترخيم أو وقع بالترخيم أو التوقيع الترخيمي، بدلا من العبارة الطويلة: التوقيع بالأحرف الأولى في صيغها المختلفة. فهذا يحقق إيجازا مطلوبا، يتيح لنا أن نستعمل كلمة واحدة، للدلالة على المراد بدلا من استعمال جملة.

(1) لسان العرب ج 12 دار صادر والمنجد في مادة (م)ط 33.

القرآن المرتل

حرف الهاء

■ ذ عبد الواحد بن سكى

■ حرف حلقي منفتح لوقوع انفراج بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق به.

كما لايقبل الجهر به لعدم انحباس جريان النفس معه. وبالتالي فهو حرف مهموس يضعف التصويت به لضعف الاعتماد عليه في مخرجه. يضاف إلى ذلك قابليته لتمديد الصوت به لجريان هذا الأخير معه، وذلك بسهولة ولين، الشيء الذي جعل من صفاته الرخاوة.

كما لايرتفع أي جزء من اللسان عند النطق به لأنه حرف مستفل مرقق.

ومما تجدر الإشارة إليه أخي القارئ الكريم، التفريق بين مصطلحين هامين بالنسبة لهذه الموضوعات التي أقدمها بين يديك، وهما: الصوت والنفس بفتح النون مع الفاء. فالنفس بفتح الفاء هو ذلك الهواء الخارج بدفع الطبع، أما إذا كان بالإرادة وعرض له تموج بتصادم جسمي فهو الصوت، ومن هنا يمكن القول أنه قد يجري النفس ولايجري الصوت، وقد يجري الصوت ولايجري النفس، أو ينحصر كلاهما.

ومن الصفات الأخرى لحرف الهاء كونه حرفا ثقيلا اي مصمتا.

ويقصد به في لغة العرب: المنع وهو مااصطلح عليه أهل الأداء بما منعت حروفه من أن يبنى منها وحدها في لغة العرب رباعي الأصول أو خماسيها لثقلها على اللسان. وإن كان ولابد، فلتعادل حروف (مر بنفل) ثقلها في الكلمات الرباعية والخماسية الأصول.

التفسير الإجمالي لسورة يوسف

■ إعداد الأستاذ محمد المهدي بوزيد

■ سورة يوسف من السور المكية وعدد آياتها إحدى عشر ومائة نزلت بعد سورة هود كما هو الشأن في ترتيبها في المصحف الشريف وذلك إبان تلك الفترة الحرجة العصيبة من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث توالت الشدائد والنكبات عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وبوجه خاص عندما فقد ، عليه الصلاة والسلام ، زوجته الطاهرة الحنون (السيدة خديجة) وعمه الشهم المناضل (ابا طالب الذي كان يناصره ويدافع عنه.

وسميت هذه السورة (بسورة يوسف) لأنها تناولت قصة نبي الله يوسف عليه السلام وما تعرض له من ضروب المحن والشدائد.

وتختلف هذه السورة المكية من جانب الأسلوب والتركيب إذ أن هذه الأخيرة تعرف بأسلوبها القوي وانها تحمل ، في الغالب ، طابع الإنذار والتهديد بخلاف سورة (يوسف) لها أسلوب سلس لطيف رقيق وقصة ممتعة تحمل جو الأنس والرحمة، والرافة والحنان ، وكما لاحظ بعض المفسرين ان الله تعالى ذكر قصص الأنبياء في القرآن ، وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة بألفاظ متباينة وذكر قصة يوسف في هذه السورة فقط ولم يكررها في القرآن كله، وإذا تتبع القارئ سرد القصة فإنه سيدرك أن طابعها الخاص يتناسب مع أدائها أداء كاملا فإنها تبدأ برؤيا (يوسف) ، وتنتهي بتأويلها ، بحيث لا يتناسب أن تكون مجزأة إلى حلقات متقاطعة ومتفرقة ، ثم إنها تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة فهي تشمل عبرا وعظات ودروسا حافلة بروائع الأخبار المثيرة والأنباء العجيبة ، وذلك ما سيتضح من خلال تقسيم هذه السورة إلى أفكار عامة.

1 . الفكرة العامة الأولى من سورة يوسف من قوله تعالى من بداية سورة يوسف « الر ، تلك آيات الكتاب المبين1 إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون 2 نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبل لمن الغافلين3».

هذا المقطع الأول عبارة عن مقدمة لما جاء بعدها مباشرة من البدء في سرد قصة (يوسف) عليه السلام ، يقرر الله تعالى في هذه المقدمة أن هذا القرآن الذي أنزل له سبحانه على نبيه محمد (ﷺ) قرآن عربي بلغة العرب افصح اللغات وابينها . ثم إنه شامل على أحسن الأخبار والقصص الجامعة لأمور متعددة منها إخبارك بقصص الأمم السابقة وشوونهم لتكون معجزة بين يديك، ثم يثبت فؤادك لأن ما حصل لك، وما سيحصل فإن الأنبياء السابقين قد حصلت لهم نفس المعاناة ، ثم تسليتك بقصص واقعة وليست ملفقة أو فيها زيادة ، هذه القصص كلها كنت غافلا عنها ولا أحد يستطيع أن يحكيها بهذه الدقة ولك نموذج قصة (يوسف) ، عليه السلام . (إذ قال يوسف لأبيه...)

الفكرة العامة الثانية من سورة يوسف : من قوله تعالى « إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ، رأيتهم لي ساجدين 4 » إلى قوله تعالى ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما ، وكذلك نجزي المحسنين22».

بهذا المقطع يبدأ الفصل الأول من القصة التي بطلها هو نبي الله (يوسف) عليه السلام. وشخصياتها يختلفون من فصل إلى آخر . أما شخصيات هذا الفصل فهم إخوة يوسف ومعهم أبوه يعقوب أساس هذا الفصل هو تناسق أحداث متباينة ويتجلى ذلك في كون يوسف ، وهو طفل ، يرى في منامه إحدى عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له فيحكي ذلك لأبيه الذي أوصاه ألا يذكره لإخوته ومعناه أن والده علم قيمة رؤيته التي توحي أنه ستكون له منزلة كبيرة. والحدث الثاني هو ظن الأخوة أن يوسف أحب إلى أبيهم منهم وأقربهم منزلة ولهذا يجب التخلص منه ، فتآمروا عليه ولم يتورعوا أن عرضوا أخاهم للموت البطيء أو القتل السريع فقرروا إلقاءه في الجب فإما أن يموت أو يلتقطه مسافر فيستعبده ، وينتهي في كلا الحالتين وجوده، لكن هذه المؤامرة أو القرار لم يكن تنفيذه بسهولة ما دام ابوهم حاجزا بينهم وبين يوسف إذن فاضطروا لخداعه وهم يتظاهرون بمحبتهم له ولأخيهم فذهبوا به ورجعوا لأبيهم مستعملين نقطة ضعفه ظانين أنها هي الفلاح إذ اظهر لهم من قبل خوفه من الذئب أن يأكله فكان ذلك هو إدعاءهم ونفذوا مؤامرتهم بإلقائه في البئر ويستطرد السياق القرآني بأن الله تعالى تدارك يوسف بالوحي أنه سيخبرهم بما فعلوا وهم لا يشعرون بذلك ولا يعلمونه.

ثم تدخلت قدرة الله القاهرة وإرادته سبحانه وتدبيره لنجاة يوسف من الهلاك في البئر إذ مرت سيارة (أي قوم مسافرون) فأخرجوه من البئر وهو يريدون ماء فنقلوه إلى مصر حيث باعوه بثمن زهيد ، وبذلك يبدأ الفصل الثاني من القصة.

3 . الفكرة العامة الثالثة من سورة يوسف : من قوله تعالى: « ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما، وكذلك نجزي المحسنين 21، إلى قوله تعالى « ثم بدالهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين 35 .

هذا المقطع هو الفصل الثاني من قصة(يوسف)، ويحتوي هذا الفصل ظروفا مختلفة عما رأيناه في الفصل الأول إذ تغيرت الظروف المتعلقة بيوسف جذريا ، فلم يعد يوسف الإبن وإنما أصبح عبدا مملوكا ، وبلغ أشده ولم يعد طفلا وأصبح يعيش في جو القصور بدل البيت المتواضع في البادية. كما تغيرت شخصيات قصته من إخوته إلى أبناء الطبقة الراقية، فشرع استهتار وفجور هذه الطبقة ينحدر نحوه، انطلاقا من امرأة العزيز التي راودته عن نفسه فاستعصم باعترافها، وشاع الخبر بين نساء المدينة (الراقيات) فأصبح هو حديث مجالسهن وهن لا يعرفن السر في ذلك، الشيء الذي قررت امرأة العزيز أن تطلعهن عليه فدعتهن إلى ضيافتها في جلسة كريمة هادئة واعدت لهن ما يتكأ عليه من فرش ووسائد وهيأت ألوان الطعام والشراب والفاكهة وأعطت كل واحدة منهن سكينا لقطع اللحم والفاكهة ، واستغلت وقد انشغالهن بالأكل والقطع فأمرت يوسف أن يخرج عليهن فدهشن لجماله الفائق وحسنه الرائع فأخذن يقطعن أيديهن اندهاشا برؤيته. فشعرت امرأة العزيز بنجاحها في مرادها فأعلنت ميولها نحوه مهددة له إن استمسك بعناده . كما شعر (يوسف) أن المسألة أصبحت كبيرة لأن الطمع فيه لم يعد مقتصرا على امرأة العزيز بل تعداها لكل هؤلاء النسوة، ومن ثم لم يعد له ملجأ سوى لله تعالى بقوله« قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه. وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين .33 فاستجاب ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم» وبذلك ينتهي الفصل الثاني من هذه القصة.

4 . الفكرة العامة الرابعة من سورة يوسف : من قوله تعالى« ودخل معه السجن فتيان. قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه، نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين36، إلى قوله تعالى « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ، إن ربي غفور رحيم 53».

هذا المقطع هو الفصل الثالث، والمحنة الثالثة لنبي الله يوسف ، وهي محنة السجن حيث لبث سنين حتى نسي لأنه لم يصدر عليه حكم ، ولم تحدد عدد السنين التي ينبغي قضاءها لكن الله تعالى لم يجعل ذلك نسيانا بل نظاما محكما ولذلك كانت تبرئته على رؤوس العيان.

وأول ما حدث أن رجلين دخلا معه السجن ، وأثناء مكثهما لمسا صلاحه وإحسانه فالتجئا إليه أثناء الحاجة وهي تعبير الرؤيا فحكى الأول أنه رأى في المنام نفسه يعصر خمرا ، وحكى الآخر انه رأى في المنام طيرا تأكل الخبز فوق رأسه. وبينا أن سبب اختيارهم ليوسف هو صلاحه وإحسانه ، فاغتنم يوسف الفرصة للدعوة إلى الله لأنهما مجبران على السماع لانتظارهما الجواب، فبين لهما العقيدة الصحيحة، ونصحهما ثم أول لهما الرؤيا على أن أحدهما سيصلب والآخر سيكون من المقربين لأهل السلطة والحكم وبعد ذلك تسلل يوسف خفية إلى من كان يظن أنه ناج منهما، وطلب منه أن يذكر قصته للملك عسى أن يخرجه من السجن فأنساه الشيطان تذكير الملك وبقي يوسف في سجنه بضع سنين إلى أن قضى الله تعالى في هذا الأمر فقدر. سبحانه . سببا يخرج يوسف من سجنه فرأى الملك رؤيا هالته فطلب تفسيرها ، ولم يستطع أحد من العارفين ذلك ، عندما يتذكر الفتى الناجي فيطلب الإذن من سيده ليذهب إلى يوسف في السجن ، وهو من أول رؤيا فطلب هذا الأخير رؤية يوسف الذي أبى أن يستجيب لدعوة الملك حتى تبرأ ساحته وكذلك حصل فبينت النساء صلاحه واعترفت امرأة العزيز ببراءته ، فخرج من السجن عزيزا كريما.

5 الفكرة العامة الخامسة من سورة يوسف : من قوله تعالى «وقال الملك ايتوني به أستخلصه لنفسي. فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين امين 54، إلى قوله تعالى« قال معاذ الله ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لمن الظالمين79».

وهذا المقطع هو الفصل الرابع من قصة يوسف إذ يخرج من السجن وزيرا مكلفا بخزائن الأرض يحكم فيها كما يشاء وبذلك يعود الاعتبار له، وينتقل إلى لون آخر من الحياة التي تجمع بين الصلاح والانتماء إلى الطبقة الراقية. عندئذ يبدأ شتات القصة يجمع وفصولها تلتقي وكل شخصياتها يلتفون حول يوسف (البطل) على هيأة مغايرة للأولى ، فيأتيه إخوانه ، صاغرين ، كباقي المواطنين ليأخذوا مستحقاتهم من العيش الذي يوزع، فاستدرجهم (يوسف) من حيث لا يعلمون حتى جاءوه بأخيه من أبيه، ثم انتقل بهم إلى تلقينهم درسا أو بالأحرى تجربة سلوكهم هل جد فيها شيء فكانت المسألة فيها محنة لهم ولأخيهم وانتقلت إلى أبيهم، وكونها أن يوسف دس كأس الملك الذي كان يكال به القمح في متاع أخيه الذي حكم عليه أن يصبح في ملك العزيز فبدؤوا، يتساءلون كيف سيعودون إلى أبيهم بدون أخيهم وقد أعطوه موثقا من الله أنهم سيعودون به فبدأت عندئذ المساومة ولكن بدون جدوى.

6 . الفكرة العامة السادسة من سورة يوسف من قوله تعالى« فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا . قال كبيرهم ، ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله . ومن قبل مافرطتم في يوسف ، فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي ، وهو خير الحاكمين 80» إلى قوله تعالى (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين.101»

(يتبع..... ص 9)

من كتاب الكبائر للإمام الحافظ محمد شمس الدين الذهبي

الكبيرة الحادية عشرة

■ قد قص الله عز وجل علينا في كتابه العزيز قصة لوط في غير موضع ، من ذلك قول الله تعالى:

« فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا علينا حجارة من سجيل» أي من طين طبخ حتى صار كالآجر (منضود) أي يتلو بعضه بعضا (مسومة) أي معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا ، (عند ربك) أي في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا بإذنه، (وما هي من الظالمين ببعيد) ما هي من ظالمي هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل بأولئك من العذاب.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط » ولعن من فعل فعلهم ثلاثا فقال « لعن الله من عمل عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل عمل قوم لوط». وقال صلى الله عليه وسلم « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» قال ابن عباس رضي الله عنه: ينظر أعلى بناء في القرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط.

وأجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التي حرم الله تعالى، قال تعالى: «أتأتون الذكران من العالمين ، وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون» سورة الشعراء / الآية 165 . 166 . أي مجاوزون من الحلال إلى الحرام.

وقال الله تعالى في آية أخرى مخبرا عن نبيه لوط عليه السلام:

« ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين» وكان اسم قريتهم سدوم ، وكان أهلها يعملون الخبائث التي ذكرها الله سبحانه في كتابه كانوا يأتون الذكران من العالمين في أدبارهم ويتضارطون في أنديتهم مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكرات.

وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : عشر خصال من أعمال قوم لوط. تصفيف الشعر ، وحل الأزرار، ورمى البندق، والحذف بالحصى ، واللعب بالحمام الطيارة، والصفير بالأصابع ، وفرقعة الأكعب، وإسبال الإزار ، وحل أزر الأقبية ، وادمان شرب الخمر، وإتيان الذكور، وستزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء النساء.

وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « سحاق النساء بينهن زنا» . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله تعالى: « قيل : من هم يارسول الله ؟ قال « المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذي يأتي البهيمة، والذي يأتي الذكر يعني اللواط».

وروى : أنه إذا ركب الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن خوفا من غضب الله تعالى ، وتكاد السماوات أن تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ قل هو الله أحد إلى آخرها حتى يسكن غضب الله عز وجل ».

وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال « سبعة لعنهم الله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ويقول ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل والمفعول به . يعني اللواط ، وناكح البهيمة، وناكح الأم وابنتها ، وناكح يده إلا أن يتوبوا».

وروي أن قوما يحشرون يوم القيامة وأيديهم حبالى من الزنا كانوا يعبثون في الدنيا بمذاكيرهم ، وروي أن من أعمال قوم لوط: اللعب بالنرد ، والمسابقة بالحمام، والمهارشة بين الكلاب ، والمناطحة بين الكباش ، والمناقرة بالديوك، ودخول الحمام بدون مئزر ، ونقص الكيل والميزان . ويل لمن فعلها.

وفي الأثر: من لعب بالحمام القلابة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر. وقال ابن عباس رضي الله عنهما : إن اللوطي إذا مات من غير توبة فإنه يمسخ في قبره خنزيرا.

وقال صلى الله عليه وسلم : «لا ينظر إلى رجل أتى ذكرا أو امرأة في دبرها » وقال أبو سعيد الصعلوكي: سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم اللواطيون ، وهم على ثلاثة أصناف : صنف ينظرون ، وصنف يصافحون ، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث.

والنظر بشهوة إلى المرأة والأمرد زنا، لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « زنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، وزنا اليد البطش ، وزنى الرجل الخطى، وزنا الأذن الاستماع ، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه». ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الإعراض عن المردان وعن النظر إليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم ، قال الحسن بن ذكوان: لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صورا كصور العذارى، فهم أشد فتنة من النساء . وقال بعض التابعين : ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد إليه. وكان يقال : لا يبيتن رجل مع أمرد في مكان واحد، وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حانوت أو حمام قياسا على المرأة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » وفي المردان من يفوق النساء بحسنه ، فالفتنة به أعظم ، وأنه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق النساء ، ويتسهل في حقه من طريق الريبة والشر ما لا يتسهل في حق المرأة ، فهو بالتحريم أولى .

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

أبواق الإعلام الغربي تتهم الإسلام

■ تكالبت على الإسلام والمسلمين اتهامات باطلة ودعوات ظالمة ، ومواقف جاهلة تطلقها أبواق الإعلام الغربي عن طريق القنوات والصحافة زاعمين بأن ما يحدث اليوم في العالم من هجوم على المدنية الغربية وحضارة أوروبا وأمريكا مصدره « الإرهاب الإسلامي» وهذا ما فاه به أخيرا مسؤول كبير لدولة أوروبية عندما قدم تقريرا عن الهجمات التي طالت قطارات مدريد، ونسي هذا المسؤول أو تجاهل ما تعرضت له بلاده هذه الأيام من هجمات ارهابية قامت بها منظمة " إيتا" الانفصالية في بلاده وهي اسبانية أصلا ، ومسيحية أيضا ضد المؤسسات والمراكز المدنية، وآخرها التهديد بتفجير ملعب رياضي لكرة القدم ، وكاد يؤدي بحياة حوالي مائة ألف متفرج، فلماذا إذن العناد والاستمرار في الخطأ وإطلاق التهم الباطلة ضد الإسلام.

في هذا الزمن الرديئ .

ما هو خيارنا كعرب وكمسلمين للعيش بسلام؟ ما هو وجودنا على الساحة الدولية ؟ أم أننا نعيش حالة من فقدان الوعي؟

الواقع الذي يجب أن نكشف عنه ونسوقه إلى العالم عبر مختلف وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية بأن الإسلام في جوهره الصافي له رسالة حضارية ، ودين حكمة وعدل وسلام ، لا دين خوف وانغلاق وتقوقع.

إن الإسلام منارة أضاءت العالم وقضت على الجهل والظلام ، وفي هذه الحالة لا يجوز لنا أن نعود به إلى الوراء ، أو نسيسه حسب الأهواء والأمزجة ، وأن يبقى بهذه الصورة التي ينظر بها من الغرب إن المسلم كما يزعمون إرهابي وخارج عن القانون، المطلوب من أن نعيد صورة الإسلام والمسلم التي جاء بها هادي البشرية محمد عليه الصلاة والسلام.

ومن المؤلم والأسف يمزق نياط قلوبنا أن نعترف بأن العرب والمسلمين أصبحوا مجال سخرية وتسفيه يتندرون بهم بتصرفاتهم ، وأنهم أشبه ما يكونون في حالة غيبوبة وخاصة عند طرح القضايا ذات الطابع الدولي العالمي ، ولم يعد بمقدورهم معالجة أمورهم بالصورة التي تؤهلهم لأخذ المبادرة ومباشرة الأمور بأنفسهم .

ولو أننا كنا فاعلين وحاضرين لما حدث لهذه الأمة الكثير من النكسات ولما عرف المسلمون في أوطانهم وهم الأمة المترامية الأطراف ذات المليار ونصف المليار من السكان ولما استمرت أوضاعهم بهذه الصورة القاتمة، ولما توترت العلاقات بين المسلمين وبعض دول العالم ، ولما تمكن الصهاينة من الاستمرار في جرائمهم ضد الشعب الفلسطيني ، ولما شاهدنا غطرسة الغربيين في تشريد وقتل المسلمين والتنكيل بهم واغتصابهم في سجن أبو غريب على مرأى ومسمع من الأمم المتحدة والعالم أجمع.

نحن اليوم في حاجة ماسة إلى أن ندرك ما يدور حولنا ، وأن نشخص مواطن الداء بأنفسنا وان نرمم أوضاعنا بعقلانية الإسلام وعدله وتسامحه، ونحن مطالبون أكثر من أي وقت مضى على إظهار الإسلام على أحسن وجه وان نزيح عنه صفة الإرهاب التي ألصقها الغرب به مع أنه لا يعير اهتماما للإرهاب الحقيقي الذي ينفذه الصهيانة ضد الأطفال في غزة ونابلس وغيرها من بلدان فلسطين المحتلة، بل هذا الإرهاب طال شجرة الزيتون المباركة ، وهي الغذاء والحياة لشعب بأكمله، وتم تجريفها ظلما وعدوانا من غير أن تتجرأ وسائل الإعلام الغربية لتعلن بأن ما ترتكبه الصهيونية في حق المسلمين هو الإرهاب.

إن الإسلام رسالة حضارية صنعت ثقافتنا وسلامنا ، ووحدت أهدافنا، ولا يعقل أبدا ان تبقى هذه الرسالة بهذه الصورة التي نعاني من قسوتها فلا بد من إعادة النبض لهذه الصورة والنهوض بها، كي تأخذ دورها من جديد لبناء ، مجتمع إسلامي قوي مجتمع الخير والمحبة والسلام .

تشطير الشيخ محمد بن يجبش على قصيدة البردة للبوصيري

■ إعداد الدكتورة
ربيعة بنويس
كلية الآداب
والعلوم
الإنسانية
القنيطرة

لقد أولع شعراء الغرب الإسلامي بصفة عامة بفن التخميس والتشطير وخاصة على القصائد النبوية المشهورة كالبردة لصاحبها البوصيري، والتي اهتم بها العديد من الشعراء، فمنهم من قام بتشطيرها ، ومنهم من قام بتخميسها ، ومن هؤلاء الشيخ ابن يجبش التازي الذي وجدنا له تشطيرا رائعا على هذه القصيدة يبلغ ثلاثمائة واثنين وثلاثين بيتا لم يشر إليه أحد ممن تعرض للتخمسيات والتشطيرات التي كانت على البردة ، ووجدنا له أيضا تخميس جميل أثنى عليه كل من الحضيكي وابن عسكر الذي قال: وله على بردة البوصيري تخميس عجيب، وفيما يلي نصي التشطير والتخميس سنقدمهما على حلقات:

قال الشيخ ابن يجبش في تشطيره على البردة للبوصيري : (من البسيط)

الحلقة الثانية

وجادلته عسى يرضى بزينتها ... عن نفسه فأراها أيما شمم[2]
وأكدت زهده فيها ضرورتـــه ... إذ أعظم الحسن منه صار للعدم
حماه خالقه من ميله لهـــوى ... إن الضرورة لا تعدو على العصم
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من ... هو السراج الذي أضاء للأمـــم
قطب الوجود إمام الرسل كلهم ... لولاه لم تخرج الدنيا من العـدم
محمد سيد الكونيـن والثقلـيـ ... ـن وهو نور الهدى المتبوع في الأمم
فلا يماثلـه شخص من الملأيـ ... ـن والفريقين من عرب ومن عجم
نبينا الأمر الناهي فلا أحـــد ... أزكى وأعدل حكما منه في الأمم
وليس في جملة المخلوق كلهم ... أبر في قول لا منه ولا نعـــم
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته ... لكل عاص قبيح الفعل مجتـرم
فما لنا عدة إلا محبتـــــه ... لكل هول من الأهوال مقتـــحم
دعا إلى الله فالمستمسكون بـه ... نالوا مرادهمُ من كل مغتـنم
من دون شك كذاك الكائدون بـه ... مستمسكون بحبل غير منفصـم
فاق النبيين في خلق وفي خلق ... فلم يدانوا الذي أعطاه ذو القدم
وليس يرقوا إلى أعلى مكانتـه ... ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمـس ... ومستمد غريب العلم والحكـم
عسى يبيح لهم من فيض حكمته ... غرفا من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهـــم ... من الذي أدركوه من مقامهـم
ولم يزيدوا[3] على مقدار نسبتهم ... من نقطة العلم أو من شكلة الحكم
فهو الذي ثم معناه وصورتـــه ... وقدره في الوجود غير مكتتـم
نال المقام الذي ما ناله أحـــد ... ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسـم
منزه عن شريك في محاسنـــه ... حسا ومعنى حقيقا غير منبهـم
ما في الخلائق من شخص يماثله ... فجوهر الحسن فيه غير منتظـم
دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... فقولهم لم يقله عاقـل الفهـم[10]
وامزجه[2] بالسؤدد المفضـي لغايته ... واحكم بما شئت [مدحا فيه][3] واحتكم
واسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... لا تطعمن امتياز البحر بالأضـم
لا تقدرن على إدراك غايتـه ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس لـه ... في علمنا غاية بلفظ أو قلـم
مقداره فوق كل الخلق ليس لـه ... حد فيعرب عنه ناطق بفـــم
لو ناسبت قدره آياتـه عظمـا ... لكنت تدع للأشيـــاء تلتـــئم
مهما نطقت علـى إدراك غـايـته ... أحيا اسمـه حين يدعى دارس الرمم
لم يمتحنا بما تعيا العقول به ... لكي نفوز بما نرجو من النعم
ولم يكلف لنا ما ليس نفهمه ... حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم
أعيى الورى فهم معناه فليس يرى ... في كل من رام معنى السير من فهم
لم يبق في كل من رام استبانته ... للقرب والبعد فيه غير مدفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد ... وإن يرد طرفك التحقيق ينعدم
فمهما نظرت على نأي فتبصرها ... صغيرة وتكل الطرف من أمم
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ... من ليس في الجانب الأعلى بملتزم
فليس يفهم معنى سره أبـــدا ... قوم نيام تسلوا عنه بالحلـم
فمبلغ العلم فيه أنه بشـــر ... نال المقام الذي بالعقل لم يرم
وأدرك الغاية القصوى برتبتـــه ... وأنه خير خلق الله كلهـم
وكل أي أتى الرسل الكرام بها ... في كل وقت لذه إظهار حكمهم
أو أدركوه من الأنوار أجمعها ... فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه فضل شمس هم كواكبها ... منها استفادوا ضياء عند سيرهم
مهما توارت عن الأبصار أفلة ... يظهرن أنوارها للناس في الظلم
أكرم بخلق نبي زانه خلق ... فلا يماثل في الأوصاف والشيم
من تلقه لم يطق تحقيق بهجته ... بالحسن مشتمل بالبشر متسم[1]
كالزهر في ترف[2] والبدر في شرف ... بل هوَ أذكى وأبهى فافهمن كلمي
أعلى وأسمح مما نال في مثل ... والبحر في كرم والدهر في همم
فانه[3] وهو فرد من[4] جلالتـه ... بما حباه من الإجلال ذو القدم
وهيبة لم ينل مقدارها أحـــد ... في عسكر حين تلقاه وفي حشم
كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف ... بل هو أبهى ولو قد كان في نظم
أو قل كحب غمام إن بدا طربا ... من معدني منطق منه ومبتسـم
لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه ... يا سعد سعدي لو قبلته بفـــم
أو انتشقت شذا رياه ملتثمـــا ... طوبى[5] لمنتشق[6] منه وملتثم
أبان مولده عن طيب عنصـــره ... لولاه لم توجد الأكوان من عـدم
من طيبة طابت الأكوان يا عجبـا ... يا طيب مبتدإ منه ومختتـــم
يوم تفرس فيه الفرس أنهـــم ... قد انقضت مدة الأوثان والصنـم
وأيقنوا أنهم من أجل طلعتـــه ... قد أنذروا بحلول البؤس والنقـم
وبات إيوان كسرى وهو منصـدع ... وهم على حذر من محو ملكهم
ورامهم في الذي راموه مفتـــرق ... كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
والنار خامدة الأنفاس من أســف ... أبادها نور خير الخلق كلهـم
تأسفت وانطفت غيظا وموجـــدة ... عليه والنهر ساهي العين من سـدم
وساء ساوة أن غاضت بحيرتهـا ... وعاد ما كان من ماء إلى العدم

(تتمة ص7)

وفي هذا الفصل يعود الإخوة إلى أبيهم يعقوب بدون أخيهم الأصغروبدون أخيهم الأكبر الذي قرران يعتصم في مكانه حتى يأذن له أبوه يعقوب الذي أطلعه الله تعالى أن في الأمر سرا بل وان فيه أثر يوسف، فأرجعهم أبو هم طالبا منهم أن يتحسسوا أمر يوسف، فاكتشفوا أنه هو نفسه العزيز فاعتذروا له عما صدر منهم كما اعتذروا لأبيهم طالبين منه ان يستغفر لهم الله تعالى، ثم اجتمعت الأسرة جميعها عند (يوسف) الذي استقبلهم استقبالا كبيرا رفع فيه أبويه على العرش فسجدوا له جميعا ، وبذلك تم تحقيق الرؤيا القديمة مصحوبة بمحن شتى.

وفي الأخير نشاهد نبي الله (يوسف) عليه السلام وهو ينزع كبرياء نفسه من الجاه والسلطان ليتجه إلى ربه مسبحا شاكرا وراجيا ان يتوفاه ربه مسلما وأن يلحقه بالصالحين.

وبذلك انتهت فصول قصة (يوسف) نبي الله عليه السلام المفصلة ليلحق بها تعقيب جاء في الفكرة العامة الموالية..

7. الفكرة العامة السابعة من سورة يوسف: من قوله تعالى:« ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك . وما كنت لديهم ، إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون102» إلى آخر السورة بقوله تعالى:« لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب . ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذين بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يومنون111».

هذا المقطع الأخير يعتبر تعقيبا على القصة كما كانت لها مقدمة ونهاية فانتقل السياق إلى المحكي له، وهو نفسه الذي خاطبته المقدمة بقوله سبحانه « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ، وإن كنت من قبله لمن الغافلين، وهو رسول الله (محمد) صلى الله عليه وسلم ويأتي التأكيد في الختام ليوضح الكلام أن هذه القصة وغيرها لم تكن متداولة بين القوم الذين نشأ فيهم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم . إذا فهو غيب أخبره به صلى الله عليه وسلم ومعجزة له وتسلية للمؤمنين وتذكير له . صلى الله عليه وسلم . وغيره بأن لا ينتظر الإيمان من كل الناس، فآيات الله كثيرة وظاهرة ، وأخبار الأقوام الغابرة معروفة ، ومع ذلك فقد كذبوه كما كذب الرسل وهو شيء طبيعي ومعهود عند الناس ، وما عليك أيها الرسول إلا أن تسأل الله النصر والنجاة ورد البأس في الدنيا والهدى والرحمة للمؤمنين يوم لقاء الله.

أسباب الضلال العقدي كما بينها القرآن الكريم

■ إعداد الدكتور محمد منصيف العسري

■ إن الإيمان بالله تعالى هو الأساس الذي يرتكز عليه الإسلام كله ، ومن غير هذا الإيمان يكون أي عمل للإنسان بدون قيمة ، ولذلك نجد القرآن الكريم قد أعطى أهمية قصوى للدعوة إلى توحيد الله عز وجل ، من خلال لفت نظر الإنسان في عدة مناسبات ومواضع إلى دلائل هذا التوحيد المبثوثة في الأنفس والآفاق وحثه على إعمال عقله بالتفكير والنظر فيها ، مع تقديم البراهين والأدلة الكافية لإثبات صفاته تعالى وبيان صدق رسله عليهم السلام وتقرير أمر المعاد ، وغير ذلك من قضايا أصول الدين، ومجيبا في نفس الوقت عما عارض به الكفار والمشركون هذه القضايا ، من خلال كشف شبههم الواهية ونقض أقوالهم اعتمادا على الحجج والأدلة التي تفند مزاعمهم الباطلة.

إلا أن من الناس من أبى مع ذلك إلا الكفر والشرك وسائر المعتقدات الفاسدة الضالة، بسبب ما أصيب به فكرهم من زلل حجب عنهم الإستفادة من دلائل الإيمان، ومن ثم نجد القرآن الكريم قد نبه في عدة مناسبات على أسباب هذا الضلال العقدي ، ليحذرها الناس فلا ينحرفوا عن العقيدة الصحيحة ولا يقعوا في الضلال وما يتبعه من خسران ، وتتلخص تلك الأسباب التي بينها القرآن فيما يلي :

1 . التقليد : فقد ذم القرآن الكريم التقليد ومن يقلدون بكيفية عمياء دون هداية واتباع للحق إذا ظهر لهم بالدلائل، ومن ذلك أنه ندد بأولئك الذين يأخذون المعتقدات والأفكار عن الأجيال السالفة من الآباء والأجداد دون مراجعتها وإخضاعها للمقاييس العقلية السليمة ، حيث قال الله تعالى « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون» سورة البقرة/ الآية: 170 . وصور الله تعالى تعنتهم وسفههم وتحجر عقولهم وتقليدهم الأعمى فقال عز وجل « بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » سورة الزخرف/ الأيتان 2322.

وبناء على ما سبق فإنه يجب على المرء عند وصوله إلى سن البلوغ أن ينظر في أصول العقائد حتى يصل إلى الإيمان الحق المبني على أدلته ، فيرتفع عن الإيمان التقليدي المرتكز على تقليد إيمان الآباء والأجداد ونحوهم ، والقول بوجوب هذا النظر هو ما عليه علماء العقيدة ، ومن ثم نجد منهم من ينص على أن أول واجب على المكلف هو هذا النظر العقلي، وهو الذي صاغه عبد الواحد بن عاشر ضمن منظومته بقوله:

أول واجب على من كلفا
ممكنا من نظر أن يعرفا
الله والرسل بالصفات
مما عليه نصب الآيات

وهذا هو منهج القرآن الكريم في حث العقل على التفكير للوصول إلى الحق . ولذا أوجب النظر في أصول الدين ابتغاء الوصول إلى المعرفة الحقة لأن الإسلام يريد أن يرتفع بالعقل البشري إلى أرقى المستويات ، مع عدم إغفال المنهج السامي الذي يرسمه لاستخدام العقل في التمييز بين الأمور للعمل بما فيه مصلحة والإبتعاد عما فيه مفسدة ، بشنائه ومدحه لمن يلتزم هذا المنهج من الناس في قوله تعالى « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك أولوا الألباب» سورة الزمر/ الأيتان 18.17. واتباع الأحسن هو الخروج من التقليد وإعمال العقل من أجل الوصول إلى معرفة الأفضل واعتقاده والعمل على وفقه ، وتطبيقا لاحترام العقل واستخدامه ونبذ التقليد الأعمى، نهى أئمة الإسلام وعلماؤه عن الأخذ بأقوالهم من غير معرفة بأدلتهم فيها .

2 . عبادة الكبراء: وهذا من أسباب الضلال المرتبطة بالتقليد إلا أن له جانبا خاصا، ومن ثم نجد القرآن الكريم يحذر من الوقوع فيه ويخصه بالذكر في قول الله سبحانه « وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » سورة الأحزاب/ الأية: 67. فنتيجة عبادة الكبراء من غير نظر وتمحيص قد أدت بهؤلاء الأقوام إلى الضلال كما نص على ذلك القرآن في هذه الآية ، ومعلوم أن كثيرا من الناس يقعون في هذا الزلل فينحرفون عن الصراط المستقيم، إما بسبب جهلهم أو تقليدهم أو ارتباطهم العاطفي أو بسبب القرابة ، أو غير ذلك من أنواع الروابط والصلات التي تؤدي بهم إلى الإغترار ببعض الشخصيات ، التي تحاول من جانبها جاهدة من خلال الوسائل المتوفرة لها أن تستولي على عقول بعض الناس وتؤثر على فكرهم وإرادتهم ، حتى يصل الأمر ببعض الأفراد إلى انمحاء شخصيتهم بسبب طاعتهم العمياء لسادتهم وكبرائهم الذين يضلونهم عن السبيل كما صور ذلك القرآن الكريم.

والإسلام يريد أن يرتفع بالناس من هذا المستوى المنحط إلى مستوى الفكر الحضاري الذي يقيم لكل شخص في المجتمع وزنه ومن ثم نجد علماء الإسلام يحذرون من الوقوع في هذا الزلل المؤدي إلى الضلال ، تبعا لما تقرر عند سلف هذه الأمة الذين فهموا الإسلام حق الفهم ، كما روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في قوله « اعرف الحق تعرف أهله واعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال»

فهذا هو الميزان الصحيح الذي يوزن به الناس سواء كانوا كبراء أو سادة أو عظماء ، وهذا هو المنهج الإسلامي الذي يكون المفكرين والحكماء والعلماء في شتى المجالات ، وليس التبعية العمياء والإنبهار بمجرد الأسماء اللامعة ، وبهذا تتجلى ضرورة ممارسة النقد البناء في هذه الحياة قصد تصويب الأخطاء وتصحيحها ، في سبيل بناء صرح الحضارة التي ينشدها كل مسلم .

3 اتباع الظن : إن التعلق بالظن من الأمور التي ذمها القرآن الكريم ، ودعا إلى الابتعاد عنها والتخلص منها فقال تعالى « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم » سورة الحجرات الأية 12. والظن مضاد لليقين، ومعلوم أنه لا يجدي في قضايا الإعتقاد إلا اليقين ومن ثم جاءت دعوة الإسلام إلى اعتماد العلم اليقيني فيما يخص هذه القضايا، وهو علم يقوم على أصول وقواعد يعتبر أشرفها وأعلاها مرتبة اعتماد الوحي الذي أعلم الله تعالى به نبيه عليه الصلاة والسلام بدينه وشرعه . والقرآن الكريم قد بين الطريق الذي ينبغي أن نسلكه ، ونبهنا على سوء عاقبة الأقوام الذين جعلوا من الظن دليلا اتبعوه فأضلهم عن الحق ، فقال الله تعالى« وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون» سورة يونس/ الآية 36. ثم أكد بعد هذه الآية على هذا المعنى فقال سبحانه« بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله» سورة يونس / الآية 39؛ لذا يجب في إصدار الأحكام مراعاة قول الحق وتجنب الظن ، كما قال عز وجل : « ولا تقف ماليس لك به علم » سورة الإسراء / الآية 36. والأحكام المبينة على الظن تكون مرفوضة فيما يطلب فيه العلم اليقين ، كما أنها مرفوضة في المجال الأخلاقي عندما يكون الظن سببا في نسبة السوء إلى الغير : كما رأينا في الآية الثانية عشر من سورة الحجرات ، وكل هذه النصوص وما في معناها تدل على دعوة الإسلام الشاملة للارتقاء بالأمة إلى مستوى العلم اليقيني.

4 . تقرير الأحكام عن الجهل: وهذا السبب مرتبط باتباع الظن، والجهل هو أخطر مرض يصيب الأمم، ومن ثم كانت رسالات الأنبياء حربا على الجهل الذي يؤدي بدوره إلى الضلال ، فكان دور الرسل هو إخراج الناس من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان . وقد حض الإسلام على التعلم حيث نجد القرآن الكريم حافلا بالآيات التي تحث على طلب العلم والمعرفة وتفضيل العالمين على الجاهلين ، كما في قوله تعالى « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب» سورة الزمر/ الأية 9؛ ولما كان تقرير الأحكام عن جهل سببا في الضلال ، فقد ذم القرآن الكريم الكافرين بقولهم كلاما عن جهل فقال تعالى « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تاتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون » سورة البقرة/ الأية 118، وقال عز وجل في موضع آخر« ألم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق» سورة الأعراف/ الأية 169 ؛

ومن ثم فإنه ينبغي على الإنسان لكي لا يقع في مثل هذا الضلال أن يتريث في إصدار الأحكام وأن لا يتكلم فيما لا يعلم، كما روي عن الإمام جعفر الصادق « أن الله خص عباده المؤمنين بأن لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا مالم يعلموا». ولذلك علمنا الله تعالى أن نتوجه فيما لا نعلم لأهل الإختصاص بقوله « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » سورة الأنبياء / الأية :7

5 . اتباع الهوى : إن اتباع الأهواء من أعظم الزلات التي تؤدي إلى عدم الوصول إلى الحق، ولذا نجد القرآن الكريم يحذر من اتباع الهوى في إصدار الأحكام وفي النهج الذي يسير عليه الإنسان في الحياة، ومن ذلك قول الله تعالى « ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » سورة المائدة/ الأية 77، وقوله عز وجل : فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » سورة القصص / الأية 50 ، وقوله سبحانه « أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم » سورة الجاثية / الأية 23.

ومعلوم أن الأحكام التي تتبع أهواء النفوس تكون دائما متغيرة مختلفة باختلاف الحالات التي يمر بها الشخص نفسه، كما أن هذا الاختلاف يكون بين شخص وآخر ، لتنوع الطباع والأمزجة والحالات النفسية والأطوار التي يمر بها كل إنسان ، وغير ذلك من المتغيرات ، ومن ثم كان اتباع الهوى مذموما ، وكان المطلوب مخالفته واتباع ما جاء به الوحي وأرشد إليه العقل.

6 . التعصب والكبر والجحود: وهذه الأسباب الثلاثة متداخلة فيما بينها ، ولها ارتباط بأغلب الأسباب الأنفة الذكر ، إلا أنها أسوأ حالا وأصعب مآلا من غيرها، فالمتعصب نجده مع سوء معتقده متحامل مع معتقد من يخالفه ، فيعمل على محاربته بجميع ما يتوفر عليه من وسائل كما عمد المشركون واليهود إلى محاربة الدعوة الإسلامية ، وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان الكبر والإستعلاء هو الذي يدفعهم إلى هذا الموقف المعادي للإسلام ، وليس الرغبة في الوصول إلى الحق الذي ينبغي أن يسلكوا إليه طريقه الصحيح ، ولما كان الحق واضحا بدلائله المعروفة عندهم ، فإن موقفهم كان مجرد جحود ناتج عما امتلأت به نفوسهم من كبر وتعصب.

وقد أخبر القرآن الكريم عن هذا السبب المركب لضلالهم في عدة مناسبات، منها قول الله تعالى« وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أونرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا» سورة الفرقان / الأية 21. ، وقوله سبحانه : وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » سورة النمل / الأية 14. وقوله عز وجل « قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بأيات الله يجحدون» سورة الأنعام / الأية 33.

وختاما ننبه على أن قضايا العقيدة هي جماع الأمر كله، فلا يسبقها شيء من أمور الدين ، ولا يقوم مقام العقيدة أمر آخر في سلوك التدين ، ومن ثم نجد كل الأنبياء والرسل اعتمدوا في دعوتهم على العقيدة، ولذا فإن أي بناء حضاري لا يكون مؤسسا على العقيدة الصحيحة فهو بناء بدون أساس في حقيقة الأمر، ومهما تعددت أسباب انهيار الحضارات ، فإن انحراف العقيدة وفسادها بالكفر والضلال يبقى هو السبب المركزي لذلك الإنهيار.

ومن ثم يكون من الضروري إدراك العقيدة الصحيحة والعلم بها عن طريق الوحي ، كما جاء في القرآن الكريم وبينته السنة النبوية الصحيحة ، والحذر من الوقوع في أسباب الضلال الأنفة الذكر ، ضمانا لاستقرار الإيمان الخالص ورسوخ دعائمه.

المقدمة الثالثة لكتاب الموافقات للإمام الشاطبي

■ الأدلة العقلية إذا استعملت في هذا العلم ، فإنما تستعمل مركبة على الأدلة السمعية ، أو معينة في طريقها ، أو محققة لمناطها ، او ما أشبه ذلك، لامستقلة بالدلالة ، لأن النظر فيها نظر في أمر شرعي ، والعقل ليس بشارع ، وهذا مبين في علم الكلام ، فإذا كان كذلك ، فالمعتمد بالقصد الأول الأدلة الشرعية، ووجود القطع فيها ، على الاستعمال المشهور ، معدوم ، أو في غاية الندور (أعني في آحاد الأدلة) فإنها إن كانت من أخبار الآحاد، فعدم إفادتها القطع ظاهر ، وإن كانت متواترة فإفادتها القطع موقوفة على مقدمات جميعها او غالبها ظني، والموقوف على الظني لابد ان يكون ظنيا ، فإنها تتوقف على نقل اللغات وآراء النحو، وعدم الاشتراك ، وعدم المجاز، والنقل الشرعي أو العادي، والإضمار، والتخصيص للعموم ، والتقييد للمطلق، وعدم ، الناسخ ، والتقديم والتأخير والمعارض العقلي ، وإفادة القطع مع اعتبار هذه الأمور متعذر وقد اعتصم من قال بوجودها بأنها ظنية في انفسها ، لكن إذا اقترنت بها قرائن مشاهدة أو منقولة ، فقد تفيد اليقين ، وهذا كله نادر معتذر.

وإنما الأدلة المعتبرة هنا المستقراة من جملةأدلةظنية تظافرت على معنى واحد حتى أفادت فيه القطع ، فإن للإجتماع من القوة ماليس للافتراق ، ولأجله أفاد التواتر القطع ، وهذا نوع منه، فإذا حصل من استقراء أدلة المسألة مجموع يفيد العلم ، فهو الدليل المطلوب، وهو شبيه بالتواتر المعنوي ، بل هو كالعلم بشجاعة علي رضي الله عنه وجود حاتم المستفاد من كثرة الوقائع المنقولة عنهما .

ومن هذا الطريق ثبت وجوب القواعد الخمس ، كالصلاة ، والزكاة وغيرهما قطعا ، والا ، فلو استدل مستدل على وجوب الصلاة بقوله تعالى» وأقيموا الصلوة ، سورة البقرة/ الآية 110 . أو ما أشبه ذلك، لكان في الاستدلال بمجرده نظر من أوجه ، لكن حف بذلك من الأدلة الخارجية والأحكام المترتبة ما صار به فرض الصلاة ضروريا في الدين ، لا يشك فيه إلا شاك في أصل الدين.

ومن هاهنا اعتمد الناس في الدلالة على وجوب مثل هذا على دلالة الإجماع ، لأنه قطعي وقاطع لهذه الشواغب .

وإذا تأملت أدلة كون الإجتماع حجة ، أو خبر الواحد أو القياس حجة. فهو راجع إلى هذا المساق ، لأن أدلتها مأخوذة من مواضع تكاد تفوت الحصر وهي مع ذلك مختلفة المساق ، لا ترجع إلى باب واحد ، إلا أنها تنتظم المعنى الواحد الذي هو المقصود بالإستدلال عليه ، وإذا تكاثرت على الناظر الأدلة عضد بعضها بعضا ، فصار بمجموعها مفيدة للقطع ، فكذلك الأمر في مأخذ الأدلة في هذا الكتاب ، وهي مأخذ الأصول ، إلا أن المتقدمين من الأصوليين ربما تركوا ذكر هذا المعنى والتنبيه عليه، فحصل إغفاله من بعض المتأخرين، فاستشكل الاستدلال بالآيات على حدتها، وبالأحاديث على انفرادها، إذ لم يأخذها مأخذ الاجتماع ، فكر عليها بالاعتراض نصا نصا ، واستضعف الاستدلال بها على قواعد الأصول المراد منها القطع ، وهي إذا أخذت على هذا السبيل، غير مشكلة، ولو أخذت أدلة الشريعة على الكليات والجزئيات مأخذ هذا المعترض، لم يحصل لنا قطع بحكم شرعي ألبتة ، إلا أن نشرك العقل، والعقل إنما ينظر من وراء الشرع ، فلا بد من هذا الانتظام في تحقيق الأدلة الأصولية:

فقد اتفقت الأمة . بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس ، وهي : الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري ، ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين ، ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه ، بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد ، ولو استندت إلى شيء معين لوجب عادة تعيينه وأن يرجع أهل الإجماع إليه ، وليس كذلك ، لأن كل واحد منها بانفراده الظني ولأنه كما لا يتعين في التواتر المعنوي أو غيره أن يكون المفيد للعلم خبر واحد دون سائر الأخبار ، كذلك لايتعين هنا لا ستواء جميع الأدلة في إفادة الظن على فرض الانفراد ، وإن كان الظن يختلف باختلاف أحوال الناقلين، وأحوال دلالات المنقولات ، وأحوال الناظرين في قوة الإدراك وضعفه ، وكثرة البحث وقلته ، إلى غير ذلك.

فنحن إذا نظرنا في الصلاة ، فجاء فيها :(وأقيموا الصلواة) سورة البقرة الآية:110 على وجوه وجاء مدح المتصفين بإقامتها، وذم التاركين لها، وإجبار المكلفين على فعلها وإقامتها قياما وقعودا وعلى جنوبهم، وقتال من تركها أو عاند في تركها ، إلى غير ذلك مما في هذا المعنى ، وكذلك النفس : نهي عن قتلها، وجعل قتلها موجبا للقصاص متوعدا عليه، ومن كبائر الذنوب المقرونة بالشرك كما كانت الصلاة مقرونة بالإيمان ، ووجب سد رمق المضطر ، ووجبت الزكاة والمواساة والقيام على من لا يقدر على إصلاح نفسه ، وأقيمت الحكام والقضاة والملوك لذلك ، ورتبت الأجناد لقتال من رام قتل النفس ، ووجب على الخائف من الموت سد رمقه بكل حلال وحرام من الميتة والدم ولحم الخنزير إلى سائر ما ينضاف لهذا (المعنى) ، علمنا يقينا وجوب الصلاة وتحريم القتل ، وهكذا سائر الأدلة في قواعد الشريعة.

وبهذا امتازت الأصول من الفروع ، إذا كانت الفروع مستندة إلى آحاد الأدلة وإلى مآخذ معينة ، فبقيت على أصلها من الإستناد إلى الظن ، بخلاف الأصول ، فإنها مأخوذة من استقراء مقتضيات الأدلة بإطلاق ، لا من آحادها على الخصوص.

فصل

وينبني على هذه المقدمة معنى آخر ، وهو أن كل أصل شرعي لم يشهد له نص معين، وكان ملائما لتصرفات الشرع ومأخوذا معناه من أدلته ، فهو صحيح يبنى عليه ويرجع إليه إذا كان ذلك الأصل قد صار بمجموع أدلته مقطوعا به ، لأن الأدلة لا يلزم أن تدل على القطع بالحكم بانفرادها دون انضمام غيرها إليها كما تقدم ، لأن ذلك كالمتعذر.

ويدخل تحت هذا ضرب الاستدلال المرسل الذي اعتمده مالك والشافعي ، فإنه وإن لم يشهد للفرع أصل معين ، فقد شهد له أصل كلي، والأصلي الكلي إذا كان قطعيا قد يساوي الأصل المعين، ، وقد يربو عليه بحسب قوة الأصل المعين وضعفه، كما أنه قد يكون مرجوحا في بعض المسائل، حكم سائر الأصول المعينة المتعارضة في باب الترجيح وكذلك أصل الاستحسان على رأي مالك ، ينبني على هذا الأصل ، لأن معناه يرجع إلى (تقديم) الاستدلال المرسل على القياس ، كما هو مذكور في موضعه.

فإن قيل : الاستدلال بالأصل الأعم على الفرع الأخص غير صحيح لأن الأصل الأعم كلي ، وهذه القضية المفروضة جزئية خاصة ، والأعم لا إشعار به بالأخص ، فالشرع وإن اعتبر كلي المصلحة، من أين يعلم اعتباره لهذه المصلحة الجزئية المتنازع فيها؟

فالجواب : أن الأصل الكلي إذا انتظم في الاستقراء (يكون) كليا جاريا مجرى العموم في الأفراد ،، أما كونه كليا ، فكما يأتي في موضعه إن شاء الله ، وأما كونه يجري مجرى العموم في الأفراد ، فلأنه في قوة اقتضاء و قوعه في جميع الأفراد ، ومن هنالك استنبط لأنه إنما استنبط من أدلة الأمر والنهي الواقعين على جميع المكلفين ، فهو كلي في تعلقه ، فيكون عاما في الأمر به والنهي للجميع.

لا يقال : يلزم على هذا اعتبار كل مصلحة، موافقة لقصد الشارع أو مخالفة، وهو باطل ، لأنا نقول : لابد من اعتبار الموافقة لقصد الشارع ، لأن المصالح إنما اعتبرت مصالح من حيث وضعها الشارع كذلك . حسبما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب (بحول الله).

فصل

وقد أدى عدم الالتفات إلى هذا الأصل وما قبله إلى أن ذهب بعض الأصوليين إلى أن كون الإجماع حجة ظني لا قطعي، إذ لم يجد في آحاد الأدلة بانفرادها ما يفيده القطع ، فأداه ذلك إلى مخالفة من قبله من الأمة ومن بعده ومال أيضا بقوم آخرين إلى ترك الاستدلال بالأدلة اللفظية في الأخذ بأمور عادية ، أو الاستدلال بالإجماع على الإجماع، وكذلك مسائل آخر غير الإجماع عرضها فيها ، هذا الإشكال فادعى فيها ، أنها ظنية ، وهي قطعية بحسب هذا الترتيب من الإستدلال ، وهو واضح إن شاء الله تعالى.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة

العدد 1095

السنة38

الجمعة 11 ذو القعدة 1425 هـ

الموافق 24 دجنبر 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير،
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا
للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1095 الجمعة 11 ذو القعدة 1425 هـ . الموافق 24 دجنبر 2004م

مقاصد البعثة النبوية

■ مقاصد البعثة النبوية
■ د. عبد الهادي بوطالب: مدونة الأسرة أنصفت المرأة
■ "إقرأ" د. حسن الأمراني

■ إعداد الأستاذ: سعيد بن محمد بيهي

(لقد من الله على المومنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)سورة آل عمران36/164.

قبل الشروع في بيان ما اشتملت عليه هذه الآية المباركة من الفوائد العظيمة لابأس من ذكر نظائرها الواردة في مواطن مختلفة من كتاب الله جل وعلا من مثل قوله تعالى: (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم)سورة البقرة/الآية:129. وقوله: (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) سورة البقرة/الآية:151. وقوله: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)سورة البقرة الجمعة/الآية:2.

لقد اشتملت آية هذا العدد على فوائد عظيمة، وتضمنت معاني جليلة، أجملها في نقط مختصرة لتسهل الاستفادة منها:

الفائدة الأولى

بيان مقاصد البعثة النبوية. على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام. والمتمثلة في مايلي:

أ. التذكير بآيات الله: والذي دل عليه قوله تعالى: (يتلو عليهم آياته)، وإنما فسرت التلاوة بالتذكير لأنه مقصود التلاوة المتكررة والغرض منها، وقد وردت التلاوة بصيغة المضارع "يتلو" للإشارة إلى أن هذا الكتاب المشتمل على الآيات تتكرر تلاوته. قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور: "ومعنى يتلو عليهم آياته يقرؤها عليهم قراءة تذكير..."

ب. التزكية: والتي دل عليها قوله تعالى: (ويزكيهم)، والتزكية إكساب النفس الزكاة أي النماء، ذلك أن الله جل وعلا خلق الإنسان في أحسن تقويم، وجعل في فطرته مايقتضي بلوغ أقصى غايات الكمال الممكنة في أمثاله، قال العلامة ابن عاشور: "التزكية تطهير النفس، مشتقة من الزكاة وهي النماء، وذلك لأن في أصل خلقة النفوس كمالات وطهارات تعترضها أرجاس ناشئة عن ضلال أو تضليل، فتهذيب النفوس وتقويمها يزيدها من ذلك الخير المودع فيها".

ج. تعليم الكتاب والحكمة والذي دل عليه قوله تعالى : (ويعلمهم الكتاب والحكمة) وتعليم الكتاب شامل لتعليم ألفاظه ومعانيه المتضمنة لمقاصده، والحكمة شاملة للسنة ولوضع الأشياء مواضعها ولمعرفة أشرار الشريعة فكل ذلك يصدق عليه مسمى الحكمة لأنه يعين على إجراء الأعمال على وفق ذلك العلم المتقن والمحكم، قال العلامة ابن عاشور: "والحكمة العلم بالله ودقائق شرائعه وهي معاني الكتاب وتفصيل مقاصده، وعن مالك: الحكمة معرفة الفقه والدين والاتباع لذلك، وعن الشافعي: الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلاهما ناظر إلى أن عطف الحكمة على الكتاب يقتضي شيئا من المغايرة بزيادة معنى...".

وبناء على ماتقدم فإن على طالب فهم الشريعة أن يفهمها في ضوء هذه المقاصد الكلية، وأن يجري العمل بها على أساس تلك الغايات العامة ليكون موافقا لمراد الله من بعثة رسوله وإنزال وحيه.

الفائدة الثانية

إذا تأملنا هذه الآية المباركة نجدها احتوت ذكر من الله تعالى بنعمة الرسالة المشتملة على تلك المقاصد، قال الله تعالى: (لقد من الله على المومنين إذ بعث فيهم رسولا...) بل نجد الإقسام على ذكر تلك المنة والمستفاد من تركيب الآية، قال العلامة أبو السعود: "لقد من الله" جواب قسم محذوف أي والله لقد من الله أي أنعم"، مع ما في الإقسام من زيادة تحقيق الخبر وتوكيده، كل ذلك يدل على أن تلك النعمة الممتن بها واقعة من نعم الله عالي المواقع، متسنمة ذرى المراتب.

إن معرفة العبد قدر نعمة إقامة البعثة النبوية على تلك المقاصد أحرى أن يدفعه إلى عدم الأزراء بها، وأحوج الناس لمعرفة عظيم مكانة هذه النعمة الدعاة إلى الله، وليس يقصد من معرفتها أن تبقى حبيسة عقولهم بحيث لاتثمر عملا، وإنما المقصود أن ينشأ عن ذلك العلم منهج في الدعوة إلى الله يؤسس لغرس مراد الله من جعل الرسالة قائمة على تلك المقاصد.

الفائدة الثالثة

إن المتأمل في سياق ترتيب تلك المقاصد يجدها أحيانا مترتبة في بعض السور بحسب ترتبها في الوجود، وأحيانا أخرى مغايرة لترتبها في الوجود. ومعنى ذلك أن مقتضى الترتيب في الوجود أن التلاوة توجد أولا، ثم يأتي التعليم للكتاب والحكمة مترتبا في الوجود على التلاوة، ثم تأتي التزكية متفرعة عما حصل من التعليم. وقد وردت بهذا الترتيب في سورة البقرة، قال الله تعالى (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم)سورة البقرة/الآية:129. ووردت مغايرة لذلك الترتيب في باقي المواطن بتوسيط التزكية بين التلاوة والتعليم.

وقد ذكر العلامة أبو السعود فائدة تغيير ذلك الترتيب فقال رحمه الله: (ويعلمهم الكتاب) صفة أخرى لـ (رسولا) مترتبة في الوجود على التلاوة، وإنما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية، وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للإيذان بأن كلا من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر، فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر إلى الفهم كون الكل نعمة على حدة كما في سورة البقرة، وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة رمزا إلى أن باعتبار كل عنوان نعمة على حدة".

وهناك فائدة أخرى من تلك المغايرة لترتيب الوجود أراها عظيمة لمناسبتها لمقتضى سياق الآية: ألا وهي تمكين ورثة الأنبياء من مراعاة اختلاف الأحوال في استعمال مايناسبها من تقديم ماتدعو الحاجة لتقديمه، وهو وصفة الحكمة الذي جعله الله جل وعلا شرطا في الدعوة إليه، قال تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي أحسن...)الآية (سورة النحل/الآية:125)، ولنتأمل معشر القراء الكرام قول العلامة برهان الدين البقاعي في تفسيره لآية هذا العدد: "وقدم التزكية لاقتضاء مقام المعاقبة على الإقبال على الغنيمة ذلك". نعم الأصل مراعاة ماترتب في الوجود في باب الدعوة إلى الله تعالى، وذلك لاقتضاء سنة الله الكونية ترتبه، ولاشك أن مراعاة مقتضيات سنن الله الكونية في إجراء العمل بشريعة مطلوب، واعتبر ذلك أخي القارئ بتأسيس الشارع الدين على ماتقتضيه الفطرة التي هي بعض مشمولات السنن الكونية، قال الله تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون)سورة الروم/الآية:30.

الفائدة الرابعة

إننا عندما ندقق التأمل في ترتيب تلك المقاصد نجد تلك الأيات التي تضمنتها قدمت ذكر تلاوة الأيات في حالتي مراعاة ترتيب الوجود وعدمه، ولاريب أن في ذلك إشارة مقصودة تتمثل في زيادة الاهتمام بهذا المقصد، وايلائه من العناية ماينا سب غرض الشارع منه، قال العلامة شمس الدين بن الصائغ في كتابه "المقدمة في سر الألفاظ المقدمة، في بيان فائدة التقديم: "الحكمة الشائعة الذائعة في ذلك الاهتمام، كما قال سيبويه في كتابه: كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم وهم ببيانه أعنى".

ونحن إذا أردنا أن نستكنه أسرار هذا التقديم فإننا سنجد عناية الشارع بأهمية إقامة البلاغ الديني على أساس التذكير بالأيات والبراهين التي جعلها مؤسسة لقاعدة الإيمان بصدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، والمقتضية لصدور الأعمال من المكلفين على وجه السهولة والإذعان للشارع. ولأجل هذا المعنى كان لابد للدعاة من ربط الناس دائما بالبراهين والحجج والأيات والعلامات المقوية للإيمان بأصل الدين، سواء كانت الأيات شرعية أو كونية، وقد امتلأ القرآن بالصنفين معا، وذلك لسهولة مسامحة النفس بالعمل المبني على ماتقتنع به. ولعله لهذا السبب كانت الأعمال في الشريعة من مقتضيات الإيمان ومن ثمرات العقيدة، ولنتأمل معاشر القراء قول الله تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا...) (سورة الأحقاف/الآية:13) وقول النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته لمن استوصاه: "قل آمنت بالله فاستقم".

الفائدة الخامسة

لقد وصف الله الناس في تلك الآية بالضلال المبين، أي ضلال واضح في العقائد والمفاهيم، وضلال بين في الأعمال والسلوكيات، وجعل وسيلة إخراجهم من أو حال تلك الأحوال العليلة مرهم النبوة القائمة على تلك المفاسد الجليلة، ودواء الرسالة المؤسسة على تلك المطالب العالية. وفي ذلك تنبيه إلى أنه مهما ادلهمت الخطوب، واحلولك الواقع بظلمته القاتمة، فإن دون ذلك فجرا قريبا يوشك أن يسطع ضياؤه، نعم ينبغي أن نزيل ظلمة واقع الانحراف بنور منهج الله المؤسس على تلك المقاصد، فإن الله جعلها وافية بالمقصود. فمن ابتغى الهدى في غير ما جعله الله هاديا لم يصب الهدف، وازور عن الطريق اللا حب وانحرف.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم. إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لايزيغ فيستعبت ولايعوج فيقوم، ولاتنقضي عجائبه، ولايخلق من كثرة الرد" رواه الحاكم.